جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

ما رآه الأزهري في البادية دراسة وصفية من خلال معجمه (تهذيب اللغة)

إعداد
د/ محمد عبد المولى أحمد الوكيل
مدرس أصول اللغة
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود - جامعة الأزهر

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

ما رآه الأزهري في البادية دراسة وصفية من خلال معجمه (تهذيب اللغة)

محمد عبد المولى أحمد الوكيل
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: Mohmmed Alwekel.3034@azhar. edu. eg

الملخص:

تقوم المعاجم اللغوية على عِدَّة أسس من أهمها المادة اللغوية، التي يجمعها صاحب المعجم بطُرق متعددة ومن مصادر متنوعة، من أهم هذه المصادر الرواية والمشافهة والسماع عن الأعراب الأقحاح الذين لم يتسلل إلى لغتهم خلل من لحن أو غيره، وهذا أمر لم يتح لكل صاحب معجم، كما أن البادية هي الأرض الخصبة والمنبع الصافي الذي قصده العلماء لجمع اللغة الصحيحة الفصيحة خوفًا عليها من الضياع، بموت أهلها أو مخالطتهم لمن ليسوا عربًا، كانت قِبْلة كثير من علماء العربية، فسجَّلوا كل ما استطاعوا أن يصلوا إليه مما لفظت به ألسنة العرب الخُلَّص، ولما كان الأزهري ممن أتيحت لهم هذه الفرصة، فسمع من فصحاء العرب، وتنقَّل معهم في بلدان كثيرة وأماكن متعددة مكنته من رؤية أشياء كثيره أثبتها في تهذيبه فقد استرعى انتباهي وأنا أقلب في صفحات هذا الكتاب كثير من الألفاظ التي نصَّ الأزهري على أنه رأها في البادية، ومما لا شك فيه أن من رأى ليس كمن سمع، والأشياء التي يرها الإنسان بعينة تكون في أعلى درجات المعرفة والدقة والبيان، فلا مجال لإنكارها أو التشكيك فيها، فأحببت أن ألقي الضوء عليها لأعرف ما لها من خصيصة عن غيرها.

الكلمات المفتاحية: الأزهري، البادية، تهذيب اللغة، دراسة وصفية، المعجم.

What Al-Azhari saw in the desert, a descriptive study through his dictionary (refining the language)

Mohamed Abdel-Mawla Ahmed Al-Wakeel
Lecturer of Language Fundamentals - Faculty of Arabic Language in Itay Al-Baroud - Al-Azhar University
Email: Mohmmed Alwekel.3034@azhar. edu. eg

Abstract :

Linguistic dictionaries are based on several foundations, the most important of which is the linguistic material, which is collected by the owner of the lexicon in multiple ways and from a variety of sources .Likewise, the desert is the fertile land and the pure source that the scholars sought to collect the correct and eloquent language for fear of losing it, due to the death of its people or their mixing with those who are not Arabs .And since Al-Azhari was among those who had this opportunity, and he heard from the eloquent Arabs, and he moved with them in many countries and various places that enabled him to see many things that he proved in his discipline, then he drew my attention while I was flipping through the pages of this book many of the words that Al-Azhari stated that he had seen in the desert. There is no doubt that the one who sees is not like the one who hears, and the things that a person sees with an eye are at the highest levels of knowledge, accuracy and clarification, so there is no room for denying or questioning them, so I liked to shed light on them to know what they have in terms of their characteristics over others.

Keywords: Al-Azhari, Badia, Tahdheeb Al-Lugha, Descriptive study, Dictionary.

المقـــــدمـــــة

الحمد لله ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــــــــــــد

فمما لا شك فيه أن البادية هي الأرض الخصبة والمنبع الصافي الذي قصده العلماء لجمع اللغة الصحيحة الفصيحة، وكان الأزهري ممن أتيحت لهم هذه الفرصة، فعايش العرب وسمع منهم، ورآى في البادية أشياء كثيرة أثبتها في معجمه(تهذيب اللغة)، وهذا جعله من أهم المعجمات اللغوية، فقد ضَمَّنه كثيرًا من العلوم والفنون والمعارف في مناحي كثيرة، فجمع فيه ثروة لغوية هائلة، عمادها وقوامها المشاهدة والمشافهة والسماع عن العرب، ولعل هذه من أهم المميزات التي تميَّز بها الأزهري على أقرانه.

وقد استرعى انتباهي وأنا أقلب في صفحات هذا الكتاب كثير من الألفاظ التي نصَّ الأزهري على أنه رآها في البادية، فأحببت أن ألقي الضوء عليها لأعرف ما لها من خصيصة عن غيرها.

❖ **أسباب اختيار الموضوع**

أولًا: الأزهري ذو شخصية علمية قوية، وحُجَّة ثابتة؛ فكان لا يُسَلِّم لأي قضية إلا إذا وضعها على مقاييسه النقدية،وهذه الشخصيات كلامها يستحق الدراسة.

ثانيًا: تهذيب اللغة من المعاجم المعتمدة في مجال اللغة، فقد حوى بين دفتية كثيرًا من العلوم والفنون.

ثالثًا: محاولة رصد وتحليل الأشياء التي رآها الأزهري بعينة خلال فترة معايشته للأعراب الفصحاء والوقوف على أبرز سماتها.

رابعًا: معرفة الأسباب التي دعته للنص على رؤية هذه الأشياء دون غيرها.

خامسًا: إعادة النظر في تراث العلماء لاستخراج بعض كنوزه وجواهره.

❖ **مشكلة الدراسة**

إذا كان الأزهري عايش فصحاء العرب، وعاش في باديتهم وتنقَّل معهم في بلدان كثيرة ومَكَّنته هذا من رؤية أشياء أثبتها في تهذيبه، فما الذي أضافه للدرس المعجمي، وعليه فالبحث يجيب عن عِدَّةِ تساؤلات، هي:

ما الذي رآه الأزهري؟ وأي فائدة تعود على القارئ من معرفته لهذه الرؤية؟ هل رؤيته لهذه الأشياء كانت سببًا في تميز معجمه عن غيره؟ هل أضاف جديدًا لم يسبق إليه؟ هل اهتم بالنصِّ على أشياء معيَّنة دون غيرها؟ هل ما رآه في الباديه له نظير في الحضر، وإن كان له نظير فهل فرَّق بينهما؟ هل تابع الأزهريُّ العلماءَ فيما نعته بالرؤية أم خالفهم؟ هل جاء وصف الأزهري جامعًا لكل الصفات بما لا يدع مجالًا للغموض والإبهام بعد قوله، أم لا؟

❖ **حدود البحث**

ظلَّ الأزهري في البادية فترة ليست بالقصيرة، رأى فيها أشياء كثيرة أثبتها في معجمه، اكتفيت منها بما تحقق فيه شرطان، **الأول:** ما نصَّ على رؤيته صراحة رؤية عينية أو مشاهدة بصرية. **والثاني:** تقييد هذه الرؤية بكونها في البادية، أما ما لم ينصَّ على رؤيته، أو نصَّ على رؤيته في غير البادية فليس داخلًا في حدود البحث، كل هذا من خلال معجم (تهذيب اللغة).

❖ **أهداف الدراسة**

١- الإسهام في خدمة الدرس اللغوي بشكل عام والدلالي بشكل خاص.

٢- إثبات حرص العلماء على جمع لغة القرآن، خوفًا عليها من الضياع.

٣- إبراز مصدر هام من مصادر المعاجم العربية.

٤- بيان أن من عايش العرب وخابرهم وسمع منهم مشافهة ورآهم بعينه ليس كغيره ممن نقلت إليه اللغه وهو في مكانه الذي نشأ فيه.

❖ **خطة البحث**

اقتضت خطة البحث أن يخرج في مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس:-

المقدمة: أبرزت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة، وحدودها، وأهدافها، والخطة التي سرت عليها، والمنهج الذى اتبعته.

الفصل الأول: أضواء على مفردات عنوان البحث، وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالرؤية والبادية، وقسمته إلى مطلبين

المطلب الأول: تعريف الرؤية.

المطلب الثاني: تعريف البادية.

المبحث الثاني: التعريف بالأزهري وكتابه. وقسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالأزهري.

المطلب الثاني: التعريف بكتابه تهذيب اللغة.

الفصل الثاني: ما رآه الأزهري في البادية، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأول: ما رآه الأزهري في البادية من النباتات.

المبحث الثاني: ما رآه الأزهري في البادية من المظاهر الطبيعية.

المبحث الثالث: ما رآه الأزهري في البادية مما صنعه أهلها.

المبحث الرابع: ما رآه الأزهري في البادية من الحشرات والهوام.

المبحث الخامس: من نصَّ الأزهري على رؤيتهم في البادية من الأشخاص.

المبحث السادس: ما رآه الأزهري في البادية من الحيوانات.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي.

- قمت بجمع المادة العلمية موضوع الدراسة فحصرت الألفاظ التي نصَّ الأزهري على أنه رآها في البادية، وأثبت كل لفظة في مكانها.
- صدَّرْتُ المسألة بكلامِ الأزهري، وذكرت أقوال العلماء فيها، ثم أقارن بين كلام الأزهري وكلام من سبقه ومن لحقه من العلماء.
- حاولت الجمع بين الأقوال التي يبدو في ظاهرها التعارض.

- قمت بالترجيح في بعض المسائل التي اختلف العلماء حولها، وبيَّنت ما يبدو صحيحًا من وجهة نظري.
- رتبت المباحث داخل البحث ترتيباً تنازليًّا الأكثر ألفاظًا ثم الأقل.
- رتَّبتُ الألفَاظ دَاخل المباحث حَسْبَ الطريقةِ الألفبائية للجذر اللغوي.
- نسبت الأبيات الشعرية إلى قائليها بالرجوع إلى دواوينهم ما أمكنني ذلك.

ثم أتبعت هذا بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم أردفتها بفهرس الموضوعات.

وبعـــــد

فهذا جهدي لا أدعي أنه بلغ الحَدَّ الذي يعصمه من الخطأ، لكني أدَّعي أني ما ادخرت جُهْدًا كي أصل إلى مادة علمية نافعة تخدم العلم وأهله، فإن كنت وفقت فإلى الله يرجع الفضل، وإن كنت أخطأت فحسبي أني اجتهدت.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الفصل الأول: أضواء على مفردات عنوان البحث

المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: تعريف الرؤية

تعريف الرؤية لغة

الرؤية لغة تدور حول وقوع الشيء المرئي تحت نظر العين، **قال الخليل:**" ورأيت بعيني رؤيةً. ورأيتُه رأيَ العَيْن، أي: حيثُ يقعُ البَصَرُ عليه"(١). **قال ابن دريد:**" والرؤية: رُؤْيَة الْعين"(٢). **وقال الفيومي:**" وَرَأَيْتُ الشَّيْءَ رُؤْيَةً: أَبْصَرْتُهُ بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ"(٣). **وجعل ابن سيده:**" الرؤية: النظر بالعين والقلب"(٤). والدلالة المحورية للجذر لم تخرج عن هذا. **قال ابن فارس:**" الرَّاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ"(٥). **وقال د/ جبل:**" المعنى المحوري لحظ العين لشيء حال اتجاهها إليه"(٦).

تعريف الرؤية اصطلاحًا

التعريف الاصطلاحي للرؤية لم يخرج عن التعريف اللغوي. **قال الجرجاني:** "الرؤية: المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة"(٧). **وقال**

(١) العين (ر أ ي). وينظر: ديوان الأدب ٢٠٧/٤، التهذيب (ر أ ي)، اللسان (ر أ ي).
(٢) الجمهرة (ر أ ي).
(٣) المصباح (ر و ي). وينظر:معجم اللغة العربية المعاصرة د/أحمد مختار ٨٤٠/٢.
(٤) المحكم (ر أ ي).
(٥) المقاييس (ر أ ي).
(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ص٧٣٥.
(٧) التعريفات ص١٠٩. وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص١٨٣.

الراغب:" الرؤية: إدراك المَرْئِي"(١). وذكر **الكفوي** أن الرؤية لا تقتصر على إدراك المرئي بالبصر فـ" حَقِيقَة الرُّؤْيَة إِذا أضيفت إِلَى الْأَعْيَان كَانَت بالبَصرِ، وَقد يُرَاد بهَا الْعلم مجَازًا بِالْقَرِينَةِ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾{الفرقان:٤٥}"(٢)

والرؤية ليست على ضرب واحد، **قال الزبيدي:**" الرُّؤيَةُ، بالضَّمّ: إِدْراكُ المَرْئي، وذلكَ أَضْرُب بحَسَبِ قُوَى النَّفْس: الأوَّل: النَّظَرُ بالعَيْنِ الَّتِي هِيَ الحاسَّة وَمَا يَجْرِي مجْرَاها، ومِن الأخيرِ قوْلُه تَعَالَى:﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ {التوبة: ١٠٥}، فإنَّه ممَّا أُجْرِي مجْرَى الرُّؤْيَة بالحاسَّةِ، فإنَّ الحاسَّةَ لَا تصحُّ على اللَّهِ تَعَالَى، وعَلى ذلكَ قَوْله: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ {الأعراف: ٢٧}، والثَّاني: بالوَهْمِ والتَّخَيّل نَحْو! أَرَى أَنَّ زيْداً مُنْطَلِقٌ. والثَّالث: بالتَّفكّر نَحْو:﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ {الأنفال: ٤٨}. والرَّابع: بالقَلْبِ، أَي بالعَقْل، وعَلى ذَلِك قوْلُه تَعَالَى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ {النجم:١١} ، وعَلى ذلكَ قوْلُه:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ {النجم:١٣}"(٣).

أوضح **ابن سيده أنَّ:**" الرُّؤْيَة بالعَيْن تَتَعدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَبِمَعْنَى العِلْم تتعدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ؛ يُقَالُ: رَأَى زَيْدًا عَالِمًا، ورَأَى رَأْياً ورُؤْيَةً ورَاءَةً"(٤).

والمقصود من الرؤية في هذه الدراسة هي الرؤية العينية التي هي الأقرب للذهن عند ذكرها، والتي هي أصل لكل دلالات الجذر. **وقال د/ محمد حسن جبل:**" ومن الرؤية بالعين أخذت الرؤية العلمية (اعتقاد في القلب)"(٥).

---

(١) المفردات (ر أ ى) ص٣٧٣. وينظر: بصائر ذوي التمييز ١١٦/٢.

(٢) الكليات ص٤٧٤.

(٣) التاج (ر أ ى).

(٤) المحكم (ر أ ي).

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ص٧٣٥.

المطلب الثاني: تعريف البادية

تعريف البادية لغة

البُدُوُّ: الظهور. **قال ابن دريد:** وبَدَوْتُ أَبْدُو: إذا ظَهرت. وبدا لي الشَّيْء بَدْوًا وَبُدُوًّا: إذا ظهر لَك. وكل شَيْء ظهر لَك فقد بدا لَك"(١). وقال **ابن فارس:**" الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ ظُهُورُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: بَدَا الشَّيْءُ يَبْدُو: إِذَا ظَهَرَ، فَهُوَ بَادٍ. وَسُمِّيَ خِلَافُ الْحَضَرِ بَدْوًا مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُمْ فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَيْسُوا فِي قُرًى تَسْتُرُهُمْ أَبْنِيَتُهَا. وَالْبَادِيَةُ خِلَافُ الْحَاضِرَةِ"(٢)

البادية اصطلاحًا قال الخليل:" والبادية: اسْمٌ للأرض التي لا حَضَرَ فيها، أي لا مَحَلَّةَ فيها دائمة، فإذا خَرَجُوا من الحَضَر إلى المراعي والصَّحارِي قيل: بَدَوا بَدْوًا"(٣). **وقال الراغب:**" البَادِية، وهى كل مكان يَبْدُو ما يَعِنُّ فيه"(٤). **وفي المعجم الوسيط** البادية "فضاء وَاسع فِيهِ المرعى وَالْمَاء"(٥).

وذكر **الخليل** أن:" البَادِيَةُ يشبه أن يكون اشتقاق اسمه من: بَدَا يَبْدُو: أي بَرَزَ وظَهَرَ، ولكنَّه اسمٌ لزم ذلك الموضع خاصَّةً دونَ ما سِواه"(٦).

وبيَّن **ابن الأنباري** علة تسميتها فقال: "سُمِّيَت البادِيَة بادِيَةً لبرُوزِها وظُهورِها. وهي من: بدا لي كذا وكذا يبدو لي: إذا ظهر لي"(٧).

وعليه: فالبادية هي الأرض الظاهرة البارزة التي فيها العشب والمراعي من الصحاري التي ليس فيها حَضَر ولا منازل تحجبها.

---

(١) الجمهرة (ب د و).

(٢) المقاييس (ب د و).

(٣) العين (ب د ا).

(٤) المفردات (ب د ا) ص ١١٣.

(٥) المعجم الوسيط (ب د ا).

(٦) العين (ح ض ر).

(٧) الزاهر ف معاني كلمات الناس١/٣٨١.

المبحث الثاني: التعريف بالأزهري وكتابه

المطلب الأول: التعريف بالأزهري[١]

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري. ولد سنة (٢٨٢هـ) في هَرَاة، وأقام بها، وسَمِع من علمائها، وظلَّ بها إلي أن سافر قاصدًا الحج، وعند عودته أُسِرَ في فتنة القرامطة(٣١٢هـ).

وبعد أن تخلص من الأسر دخل بغداد ودرس اللغة العربية، وتلقى اللغة على يد علماء كبار، وروى عنه العلم كثير من العلماء، وقد ترك الأزهري لنا تراثًا علميًّا ضخمًا يفيد منه أهل العربية إلى قيام الساعة إن شاء الله.

وكان الأزهري رأسًا في اللغة وَالفِقْهِ، لكنه غلب عليه الاشتهار باللغة بسبب معجمه(تهذيب اللغة). وعلى الرغم من فضائل الأزهري إلا أنه كان –أحيانًا– يتحامل على العلماء، وخاصة أصحاب المعاجم الذين سبقوه، ولعل سبب ذلك أنه قصد الحَطَّ من شأن أصحابها، ليَرْغَب الناس عنها، ويميلون إلي كتابه[٢]. فكان "يتناول الشخصيات اللغوية تناولاً عنيفاً قاسياً، لا يتوانى في أن يكيل للمخطئ من هذه الشخصيات من الصفات ما يعبر عن خشونة وفظاظة وغلظ قلب، وهو إذا وقع علي الصواب مما قاله اللغوي لم يزد علي أن يستحسن صوابه، أو يقره بلا استحسان أو ثناء"[٣].

---

(١) هذه ترجمة مختصرة على سبيل الإجمال فالأزهري له من الشهرة والزيوع ما يغني عن تعريفه، ومن أرادها مفصلة فلينظر مقدمة كتاب تهذيب اللغة لعبد السلام هارون١/٥، وينظر كذلك معجم الأدباء لياقوت٥/٢٣٢٢، وفيات الأعيان لابن خلكان٤/٤٣٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي١٢/٣٢٨، وعقيدة الإمام الأزهري د/على بن نفيع العيلاني ص٣١.

(٢) ينظر: المعاجم العربية د/ عبد الله درويش ص٥٦.

(٣) ينظر: الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، د/ رشيد العبيدي ص٣٩٥.

توفي بمدينة هَرَاه سنة(٣٧٠هـ) بعد أن قدم للإسلام وللعربية تراثًا ضخمًا نفيد منه نحن إلى وقتنا هذا، وسيظل باقيًا -إن شاء الله- إلى قيام الساعة.

المطلب الثاني: التعريف بكتابه (تهذيب اللغة)

تهذيب اللغة لا يقل في شهرته عن صاحبه، فهو من أهم معجمات العربية، ضمَّ كثيرًا من العلوم والفنون والمعارف، فكان بحق موسوعة علمية.

سماه الأزهري بهذا الاسم؛ لأنه قصد إلى تنقية لغة العرب من كل الشوائب التي تسرَّبت إليها وعلقت بها[(١)].

سار الأزهري على نفس المنهج الذي وضعه الخليل لمعجم (العين)، فرتب الحروف ترتيبًا صوتيًا، بدأها بالأبعد مخرجًا ثم الذي يليه حتي وصل إلي الشفتين، وسار على نظام التقليبات.

وإذا كان الأزهري لم يأت بمنهج جديد، فإن الجديد عنده يتمثل فيما انفرد به عمن سبقه من مواد وما زاده عليهم من أقوال وتفسير وتوضيحات لما أجملوه[(٢)]. وقد حظي هذا الكتاب على ثناء كثير من العلماء[(٣)].

وتهذيب اللغة كأي عمل بشري له من المزايا الكثير، وعليه مأخذ[(٤)].

---

(١) ينظر: التهذيب ٤٥/١.

(٢) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره د/حسين نصار ٢٧٩/١.

(٣) ينظر: نزهة الألباء لأبي البركات الأنباري ص ٢٣٨. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٨٣/١، اللسان لابن منظور ٧/١.

(٤) تركتها لشهرتها، ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى أي كتاب أُلِف في المعاجم العربية ومنها على سبيل المثال، المعجم العربي نشأته وتطوره د/حسين نصَّار ٢٧٨/١، والمعاجم العربية مدارسها ومناهجها د/عبد الحميد أبو سكين ص٥٦، ومعجمات العربية تاريخ وتعريف د/عبد التواب الأكرت ص١٠٧.

ومهما يكن من أمر يبقي (تهذيب اللغة) للأزهري دائرة معارف، وموسوعة لغوية في مجالات متعددة، في اللغة والقراءات والتفسير والحديث والفقه والنبات والصحاري والجبال والحيوان إلي غير ذلك من عناصر الطبيعة العربية والبيئة البدوية وأيضًا الحضارة الإسلامية، وقد صور لنا حياة العربي أصدق تصوير، مستخدمًا في ذلك كل ما أتيح له من وسائل، من رؤية عينية أو سماع عن ثقة، أو مشافهة، أو غير ذلك.

الفصل الثاني: ما رآه الأزهري في البادية

المبحث الأول: ما رآه الأزهري في البادية من النباتات

١- (ت ن م) التَّنُّومَة

قال الأزهري:" فِي حَدِيث النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– أَن الشَّمْس كُسِفَتْ على عَهده فاسودَّت، وآضَتْ كَأَنَّها تَنُّومَةٌ(١)، قال أَبُو عبيد: التَّنُّومَةُ هِيَ من نَبَات الأَرْض فِيهِ سوادٌ، وَفِيه ثَمَرٌ يأكلُه النَّعَامُ وَجَمعهَا تَنُّومٌ. وَقَالَ زُهَيْر:

أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَه بالسِّيِّ تَنُّومٌ وآءُ(٢)

قلت: التَّنُّومَةُ: شجرةٌ رأيتُها بالبادية يَضْرِبُ لونُ وَرَقِهَا إِلَى السَّوَاد، وَلها حَبٌّ كَحَبِّ الشَّاهْدَانِجِ، ورأيتُ نِسَاءَ الْبَادِيَة يَدْقُقْنَ حَبَّهُ ويَعْتَصِرن مِنْهُ دُهنًا أزرقَ فِيهِ لُزوجةٌ، ويَدْهِنَّ بِهِ شُعُورَهنَّ إِذا امْتَشَطْنَ"(٣).

في النص السابق نقل الأزهري وصف أبي عبيد (للتَّنُّومة) الذي بيَّن فيه أنها من نبات الأرض، ولها ثمر يأكله النَّعَام، وذكر أنَّ فيها سوادًا، لكنه لم يوضح أين يوجد هذا السَّوَاد، هل في لون النبات أم في ثمره؟

وهذا الإبهام ليس من أبي عبيد، وإنما جاء من تساهل الأزهري في النقل، فأبو عبيد ذكر أن السواد يكون في لون النبات وفي ثمره على حد سواء، فقال:" فالتنّومة من نَبَات الأَرْض فِيهِ سَواد وفِي ثمره"(٤).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي،(الْخُطْبَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْكُسُوفِ)، حديث(٦٣٦١). آضت:صَارَت.

(٢) البيت من الوافر، في ديوانه ص١٥، الصّكُّ: رجل أصك: تتقارب ركبتيه يصيب بعضها بعضاً إذا عدا، والمُصَلَّمُ: الصغيرُ الأُذن. رجل أَجْنَى، كأَجْنَأ، وأجنأ: أشرف كَاهِله على صَدره، والسِّيُّ موضعٌ أَمْلَسُ بالبادية، ووَآءَ – مَمْدُودٌ – شَجَرٌ.

(٣) التهذيب (ت ن م).

(٤) ينظر: غريب الحديث(ت ن م). أو لعل الأزهري لم تصل إليه النسخة التي بين أيدينا.

ولم يكتف الأزهري بما نقله بل أضاف لها أوصافًا، من خلال رؤيته لها في البادية، وجاء وصفه له على النحو التالي:

١- شجرةٌ يَضْرِبُ لونُ وَرَقِهَا إِلَى السَّوَاد، فجعل السواد في الورق، دون الثمر.

٢- لها حَبٌّ كَحَبِّ الشَّاهْدَانِجِ(١). أو أكبر منه قليلًا(٢).

٣- حَبُّها يلتقطه النساء ثم يَقُمْنَ بِدَقِّه وعَصْرِهِ؛ ليستخرجن منه دهنًا أزرق فيه لُزُوجَةٌ يدِهِنَّ به شُعُورَهنَّ إذا امْتَشَطْنَ.

والسؤال، هل جاء الأزهري بكل ما لهذا النبات من أوصاف؟

الجواب لا، فالحقيقة أن هذا الشَّجَر ذكره كثير من أصحاب المعاجم، وذكروا له صفات متعددة منها ما لم يستوعبه وصف الأزهري.

قال الخليل:" التَّنُّومُ: شَجَرٌ له حَمْلٌ صِغارُه كمِثل خِلقْه الخِرْوَع، يَنْفَلِقُ عن حَبٍّ يأكُلُه أَهْلُ البادية، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورَق"(٣).

وزاد ابن سيده" وقال أبو حَنِيفَةَ: التَّنُّومُ: من الأَغْلاثِ، وهي شَجَرَةٌ غَبْراءُ تَأْكُلُها النَّعامُ والظِّباءُ ...ولها حَبٌّ إذا تَفَتَّحَتْ أَكْمامُه اسوَدَّ، ولَهُ عِرْقٌ، ورُبَّما اتُّخِذَ زَنْدًا، وأَكْثَرُ منابِتِها شُطْآنُ الأَوْدِيَةِ ...وقالَ ابنُ الأَعْرابيّ: التَّنُّومَةُ بالهاء: شَجَرَةٌ من الجَنْبَةِ عَظِيمَةٌ، ينبتُ فِيها حَبٌّ كالشَّهْدانَجِ يَدَّهِنُونَ به، ويَأْتَدِمُونَه، ثم تَيْبَسُ عندَ دُخُولِ الشِّتاءِ وتَذْهَبُ. هذا كُلُّه قولُ أَبِي حَنِيفَةَ"(٤).

---

(١) الشَّهْدَانِجُ نبات، وهو مُعرَّب عَن شاهْ دَانه، وَمَعْنَاهُ سُلْطَانُ الحَبِّ.

(٢) زيادة ذكرها ابن منظور نقلًا عن الأزهري. ينظر: اللسان (ت ن م).

(٣) العين(ت ن م). له حمل: له ثمر يحمله. والخِرْوَعُ: نبتٌ معروف لا يُرْعَى، وكلُّ نبتٍ ضعيفٍ يتثنَّى، أيَّ نبتٍ كان، فهو خروع.

(٤) المحكم (ت ن م). وينظر: (ت ن م) في اللسان والتاج. الأغلاث من الغَلْثُ: الخَلْطُ. الغَلْثُ: خَلطُ البُرّ بِالشَّعِيرِ أَو الذُّرة، وحَبَلَ الصَّيدَ حَبلاً واحْتَبَلَهُ: أَخَذَه بِها: أَي بالحِبالَة.

وزاد في المخصص:"لَهَا ورقة عريضة كورقة الْعِنَب فِي الشَّبَهِ، لَا فِي الْكبرِ ... وَقيل: تَسْوَدُّ اليدُ من ثَمَرِهِ وعُصَارَتِهِ، شَدِيدَة الخُضرة تُصبغ بهَا الْجُلُود والأطعمة، وهو مِمَّا تدوم خضرته فِي القيظ كُله"(١).

مما سبق يتضح أن

١- التَّنُّومَةَ من الشَّجَرِ الوَاسِعِ الشهرة في حياة العرب، ومنشأه البادية.

٢- هذا الشجر له من المنافع والفوائد الكثير، يستخدمه العرب في مجالات متعددة. فهو غذاء للإنسان، وغذاء للحيوان(النعام والظِّباء)، كما يستخدم كدُهن لشعر النِّساء بعد معالجته، وأيضًا يستخدم في صبغ الجلود.

٣- وَصْف الأزهري لم يتسم بالشمولية والإحاطة فلم يقف على كل ما لهذا النبات من ميزات وخصائص، خاصة وأنه قد صرَّح برؤيته، فما ذكره أقل بكثير مما ذكره غيره من العلماء.

٤- الأزهري لم ينفرد في وصف شجر التَّنُّومة ولو بصفة واحدة عمَّن سبقه من العلماء، فكل ما ذكره ذكروه قبله، بل وزادوا عليه، كما جاء في وصف أبي حنيفة الدينوري. لكن يحسب للأزهري أنه بيَّن الصفة التي يقوم بها النساء في معالجة حبَّ هذا النبات واستعماله لدهن شعورهن بكل دقة.

٥- التنومة نبات أسود الأوراق وأسود الحَبِّ، وهذا يناسب وصف الشمس به، وليست أوراقه فقط التي توصف بالسواد، كما قال الأزهري.

(١) المخصص (باب التحلية) ٣/٢٤٧.

٢- (ث غ ر) الثَّغَرُ

قال الأزهري:"**وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَة نباتاً يُقَال لَهُ الثَّغَر،ورُبَّما خُفِّفَ فَقيل: ثَغْرٌ**"(١).

الثَّغَر نبات رآه الأزهري في البادية، وذكر أنه يقال أيضًا: الثَّغْر بالتخفيف، إلى هنا انتهى بيانه عن هذا النبات.

وهذه من المأخذ التي تؤخذ على عالم كبير كالأزهري، كيف له أن يقف بيانه عند هذا الحَدِّ؟ وأي غموض أزاله عن هذا النبات الذي ربما لم يتوفَّر لغيره أن يرآه؟ خصوصًا وأن هذا النبات لم يذكره الخليل في العين(٢).

ولو قلنا أنه سكت عن بيان صفته لشهرته، فهو لم يشر إلى ذلك، بقوله – مثلًا–: نبات مشهور، أو نبات معروف، وهذا يجلب سؤالًا هل كل النباتات التي وصفها الأزهري بدقة لم تكن معروفة لأهل زمانه؟!

لكن من جميل ما في العلماء العرب بصفة عامة، وعلماء اللغة بصفة خاصة أن ما قصَّر فيه عالم يجبره غيره، فقد ذكر غير واحد مِنْ وَصْفِ هذا النبات ما يزيل عنه الإبهام والغموض، ويوضح حقيقته بصورة جلية.

قال الأصمعي:" ومن الشجر الثَّغْرُ والثَّغْرةُ وهي شجرة لها شوك ليس بالقوي، تعجب الإبل فترعاها"(٣). **وقال كراع:**" والثَّغْرُ: ضَرْبٌ من النَّباتِ، الواحدة ثَغْرةٌ، وهي ضَخْمَةٌ خَشِنةُ المَسِّ، وفيها مُلْحةٌ قليلة مع خُضْرَتها، وزهرتها بَيْضَاءُ تَنْبُتُ في جَلَدِ الأرضِ دونَ الرَّمْل"(٤).

وقال ابن سيده:" والثَّغْرَةُ: مِنْ خِيَارِ العُشْبِ، وَهِيَ خَضْرَاءُ، وَقِيلَ: غَبْرَاءُ تَضْخُمُ حَتَّى تَصِيرَ كأَنها زِنْبِيلٌ مُكْفَأٌ مِمَّا يَرْكَبُهَا مِنَ الْوَرَقِ والغِصَنَةِ، وَوَرَقُهَا عَلَى

(١) التهذيب (ث غ ر).
(٢) ينظر: العين (ث غ ر).
(٣) كتاب النبات والشجر ص٤٠.
(٤) المُنَجَّد ص١٥٩.

طُولِ الأَظافير وعَرْضِها، وَفِيهَا مُلْحَةٌ قَلِيلَةٌ مَعَ خُضْرَتِها، وزَهْرتَها بَيْضَاءُ، يَنْبُتُ لَهَا غِصَنَةٌ فِي أَصل وَاحِدٍ، وَهِيَ تَنْبُتُ فِي جَلَدِ الأَرض وَلَا تَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ، والإِبل تأْكلها أَكلًا شَدِيدًا وَلَهَا أَرْكٌ أَي تُقِيمُ الإِبل فِيهَا وَتُعَاوِدُ أَكلها"(١). **وزاد ابن منظور**" وَلَهَا زَغَبٌ خَشِنٌ، وَكَذَلِكَ الخِمْخِمُ أَي لَهُ زَغَبٌ خَشِنٌ، وَيُوضَعُ الثَّغْر والخِمْخِمُ فِي الْعَيْنِ"(٢). **وزاد الزبيدي**:" قَالَ أَبو نَصْر: لَهُ شَوْك لَيْسَ بالقَوِيّ"(٣).

مما سبق يتضح أن

١- علماء العربية نقلوا اللغة إلينا بكل دقة وأمانة ما وسعهم لذلك سبيل.

٢- الثَّغَر نبات متعدد الفوائد، ويستخدم في كثير من الأغراض.

٣- الأزهري لم يعط هذا النبات حقه من الوصف الذي له، كما فعل غيره.

٤- سكت الأزهري عما كان حقه أن يذكر، ليُجَلِّي حقيقة ما رأى، خاصة وأنه قد نص على رؤيته، فقد صبَّ اهتمامه على الناحية الصوتية، وبيان طُرُقِ نطق اللفظ، وأهمل الناحية الدلالية بالكلية.

والذي يبدو لي أن الذي دفع الأزهري إلى عدم إعطاء هذا النبات حقه في الوصف ليس التكاسل ولا عدم الاهتمام بل كان مشغولًا بغير ذلك، فتوضيح صفة هذا النبات جاء تاليًا أو جاء في سياق بيانه لمعنى أخر، والدليل على ذلك السياق الذي ورد فيه بيان النبات، حيث **قال الأزهري**:" وَقَالَ أَبُو سعيدٍ: ثُغَر المجدِ: طُرقه واحدتها: ثُغْرة. قلت: وكلُّ طريقٍ التَحَبه النَّاس لسهولتِه حَتَّى تخدَّد

(١) المحكم (ث غ ر). والزَّبِيل: الجِراب، والزِّنْبِيلُ أيضاً. وهو عند العامّة ما يُتَّخذ من الخُوص بعُرْوتين، والمُكْفَأُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ المَقْلُوب.

(٢) اللسان (ث غ ر).

(٣) التاج (ث غ ر).

فَهُوَ ثُغْرَةٌ، وَذَلِكَ أَن سالكيهِ دعَسوه وثَغروا وَجهه حَتَّى صَار فِيهِ أخدودٌ وشَرَك بائنةٌ"(١). فكان الشاغل له بيان معنى الثُّغْر لا ذكر صفات النبات.

وقد ذكر **ابن فارس** الدلالة المحورية للجذر(ث غ ر) فقال:" الثَّاءُ وَالْغَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَفَتُّحٍ وَانْفِرَاجٍ"(٢)، وإذا كان الأمر كذلك فما العلاقة بين هذه الدلالة المحورية وتسمية النبات بهذا الاسم؟

من الممكن أن تكون علة التسمية تسمية الشيء باسم فعل وقع عليه، أو بما يشبهه، فهذا النبات –كما سبق– تأكله الإبل أكلًا شديدًا، ومع ضخامة الإبل وقوتها فإنها تجعل فيه انفراجات وخروقًا كالثغور في الجدار، فلما أشبه حال النبات حال الجدار المخرَّق أو الطريق المسلوك في هيئته سمي به.

٣- (ش ك ع) الشُّكَاعي

قال الأزهري:" الشُّكاعَى: نبتٌ، وَقد رأيتُه فِي الْبَادِيَة، وَهُوَ من أَحْرَار الْبُقُول"(٣).

الشُّكاعَى على وزن فُعَالَى، نص الأزهري على أنه نبت، وأنه قد رآه في البادية، ثم وصفه بأن من أحرار البقول، لكنه لم يذكر هيئته التي رآه عليها.

والسؤال إن كان الأزهري قد رآه رؤيا عين فما الذي منعه من وصفه وصفًا دقيقًا يُمَكِّن القارئ الذي لم يره من تخيُّله وتصور هيئته والوقوف على فوائده؟

والسبب في ذلك –في رأيي– يرجع إلى أحد أمرين، هما:

الأول: أن هذا النبات كانت له من الشهرة –عند أهل عصره– ما يغني عن وصفه وصفًا تفصيليًّا فيكون توضيحه من توضيح الواضح، وهذا عبث.

---

(١) التهذيب (ث غ ر).

(٢) ينظر: المقاييس (ث غ ر).

(٣) التهذيب (ش ك ع). وأَحْرارُ البُقُول: مَا أُكل غَيْرَ مَطْبُوخٍ، وَقِيلَ: مَا رَقَّ مِنْهَا ورَطُبَ.

الثاني: أن الأزهري شرحه ووضَّحه ووصفه بما رآه فيه، لكنه سقط من النسخة التي وصلت إلينا من التهذيب، يؤيد هذا ما ذكره الزبيدي في حديثه عن نبات(الشُّكاعَى) فقال:" قَالَ الأَزْهَرِيّ: وزَهرَتُها حَمْرَاء"(١)، وهذا ليس في نسخة التهذيب التي بين أيدينا.

وما سكت عنه الأزهري في وصف (الشُّكاعَى) ذكره غيره، **قال ابن دريد:**" والشُّكاعَى: نبت مَعْرُوف يعالَج بِهِ من أوجاع الْجوف"(٢).

وقال ابن خالويه:"الشُّكَاعَى واحدته: شُكَاعَي والحُلَاوَى وواحدته حُلاوَى، وهما شجرتان شاكتان ومنبتهما نجد وتهامة، وثمرتهما زهرة حمراء غير أن الشكاعى أعظمهما عرقًا وأوسطهما نبتًا"(٣).

وقال الزبيدي:" قَالَ: -يقصد أَبَا حنيفةَ الدينوري- والشُّكاعَى، كحُبارى، وَقد تُفتَح، على زعمِ بعضِ الرُّواةِ، قَالَ: وَلم أَجِدْ ذَلِك مَعْرُوفاً: من دِقّ النَّبَات، دَقيقَةُ العِيدانِ، ضعيفةُ الورَق، خَضْرَاء... وَقَالَ الجَوْهَرِيّ: نَبْتٌ يُتَداوى بِهِ. قَالَ الأخفَشُ: هُوَ بالفارسيّةِ جرخه، وأنشدَ لعمرِو بنِ أحمرَ الباهليّ:

شَرِبْتُ الشُّكاعى والْتَدَدْتُ أَلِدَّةً وأَقْبَلْتُ أَفْوَاهَ العُروقِ المَكاوِيَا(٤)

قَالَ أَبُو حنيفَة: ولدِقَّتِهِ وضَعفِ عُودِه يُقَال للمَهزول: كأنّه عُودُ الشُّكاعَى... قَالَ أَبُو زيدٍ: هِيَ شجرةٌ صغيرةٌ ذاتُ شَوكٍ، وتُثَنَّى وتُجمَع ... قَالَ: وَهِي مِثلُ الحَلاوَى لَا يكادُ يُفرَقُ بينهُما. قَالَ الأَزْهَرِيّ: وزَهرَتُها حَمْرَاء. وَقَالَ غيرُه: هُوَ يُشبَهُ الباذاوَرْد فَهِيَ: الشوكةُ البيضاءُ تُشبِهُ الحَسَكةَ إلاّ أنّها أَشَدُّ بَياضاً، وأطولُ شَوْكَاً، وساقُه قد يَبْلُغُ ذِراعَيْن، وحَبُّه أشدُّ استِدارَةً من القُرطُم، نافِعٌ

(١) التاج (ش ك ع).
(٢) الجمهرة (ش ك ع).
(٣) كتاب الشجر ص١٧٩.
(٤) البيت من الطويل، ديوانه ص١٧١، اللَدودُ، ما يُصبُّ من الأدوية في أحد شِقَّي الفم.

من الحُمَّيَات البَلْغَمِيَّةِ العَتيقَةِ وضَعفِ المَعِدَةِ واللَّهاةِ الوارِمَةِ عَن البَلغَمِ ووَجعِ الأَسْنانِ ولَسْعِ الهَوامِّ، والتَّشَنُّج، ونَفْثِ الدَّم، ثمّ إنّ هَذِه الخَواصَّ المذكورةَ ليستْ فِيهَا، وإنّما هِيَ فِي بَزْرِها، كَمَا حقَّقَه ابنُ جَزْلَةَ"(١).

وذكر الدلالة المحورية للجذر (ش ك ع) **ابن فارس** فقال:" الشِّينُ وَالْكَافُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى غَضَبٍ وَضَجَرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ"(٢).

العلاقة بين تسمية الإنسان والنبات بهذا الاسم

الشُّكاعَى من نبات البادية ضعيف رقيق رخو، حتى أنه من شدة ضعفه أطلق على الإنسان المهزول الضعيف البنية، لما بينهما من تشابه، وإذا كانت الدلالة المحورية للجذر تدور حول الغضب والضجر، فإن هذا الغضب والضجر عادة ما تكون بعض الأمراض سببًا فيه (كضغط الدم مثلًا)، ومن كان هذا حاله غالبًا ما يكون نحيفًا وضعيفًا، من شِدَّة التوتر والانزعاج فلما أشبه حاله حال هذا النبات سمي به، هذا من ناحية.

من ناحية أخرى يمكن أن تكون العلاقة عكسية، فالشُّكاعَى نبات يُتَداوى به من جملة أمراض، وما يتداوى به يكون–عادة–سببًا في صحة البدن وقوته، فجاءت تسمية الإنسان–بهذه الحالة– باسم النبات الذي يُعالج به من تسمية الشيء بضده، وإن كان الأول أرجح عندي.

مما سبق يتضح أن

١– الشُّكاعَى نبت من نبات البادية رآه الأزهري وغيره من العلماء.

٢– هذا النبات نافع في كثير من الأمراض، وله العديد من الفوائد.

٣– الأزهري أهمل كثيرًا من أوصاف هذا النبات وفوائده الطبية.

(١) التاج (ش ك ع).

(٢) المقاييس (ش ك ع).

٤- ما سكت عنه الأزهري ذكره غيره من العلماء الثقات الذين يُحْتَج بكلامهم، ونقله عنهم عدد من أصحاب المعاجم.

٥- الشُّكَاعَى في أصله تسميته اسم لنوع من النبات، تطورت دلالته فاتسعت حتى وصف به بعض الناس الذين أشبه حالهم حاله في الضعف والرقة.

٤- (ط ر ث) الطُّرْثُوث

قال الأزهري:" رأيتُ الطرْثُوث الَّذِي وَصَفه اللَّيْث فِي الْبَادِيَة وأَكَلْتُ مِنْهُ، وَهُوَ كَمَا وَصَفه، وَلَيْسَ بالطُّرْثُوثِ الحَامِضِ الَّذِي يكون فِي جِبَالِ خُراسَانَ، لِأَن الطُرْثوث الَّذِي عندنَا لَهُ وَرَقٌ عَرِيضٌ، مَنبِتة الْجبَال، وطُرْثوث الْبَادِيَة لَا وَرَق لَهُ وَلَا ثمَرَ، ومَنبِتة الرِّمال وسهولةُ الأَرْض، وَفِيه حَلاوةٌ مُشرَبة عُفوصَة، وَهُوَ أحمرُ مستديرُ الرَّأْس كَأَنَّهُ ثُومَة ذَكَرِ الرَّجُلِ"(١).

الطُّرْثُوثُ على ضربين، هما:

الأول: الطُّرْثُوثُ الحامض، الذي يكون في جبال خرسان، وهو نبات له ورق عريض. وليس هو المراد.

الثاني: الطُّرْثُوثُ الذي يكون في البادية، رآه الأزهري وأكل منه، وأقرَّ صفته على الوجه الذي **رواه الليث** بأنه "نَبَاتٌ كالفُطْر مستطيلٌ دقيقٌ يَضْرِب إلى الحُمْرة، وهو دِباغٌ للمَعِدة، منه مُرٌّ، ومنه حُلْوٌ، يُجْعَلُ في الأدوية"(٢).

وزاد الأزهري أنه لَا وَرَق لَهُ وَلَا ثمَرَ، ومَنبِته في الرِّمال وسهولةُ الأَرْض، وَفِيه حَلاوةٌ مُشرَبة عُفوصَة، وَهُوَ أَحْمَرُ مستديرُ الرَّأْس كَأَنَّهُ ثُومَة ذَكَرِ الرَّجُلِ.

وزاد ابن سيده:" وقَالَ أبو حَنيفةَ: الطُّرْثُوثُ يُنَقِّضُ الأَرضَ تَنْقِيضاً، وليسَ فيه شيء أَطْيبَ من سُوقَتِه ولا أَحْلَي، ورُبَّما طَالَ، ورُبَّما قَصُرَ، ولا يخرجُ إلاّ في

(١) التهذيب (ط ر ث).

(٢) العين (ط ر ث).

الحَمْضِ، وهو ضَرْبانِ، فمنه حُلوٌ وهو الأَحمرُ، ومنه مُرٌّ وهو الأَبيضُ، قَالَ: وقَالَ أبو زِيادٍ: الطَّراثِيثُ تُتَّخذُ للأَدْوِيَة، ولا يأكلُها إلاّ الجائعٌ، لَمرارتِها، قَالَ: وقَالَ ابنُ الأَعرابِيّ: الطُّرْثُوثُ ينْبُتُ على طُولِ الذِّرَاعِ، ولا وَرقَ له"(١).

وزاد نشوان أن"الطُّرْثوث...ينفع من قروح الأمعاء وإطلاق البطن. وتضمَّد به الجراح العفنة فيزيل عفنها، ويجعل على الأعضاء المسترخية فيقويها"(٢).

والدلالة المحوري للجذر (ط ر ث) لم يذكرها ابن فارس، واكتفى بقوله:" الطَّاءُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ الطُّرْثُوثُ، وَهِيَ نَبْتٌ"(٣).

وذكر **ابن دريد** أن الطُّرْثوث مشتق من الطَّرْث بمعنى الرخاوة(٤)، وأكَّده **الزبيدي** بقوله:" والطَّرْثُ بِالْفَتْح: كُلُّ نَبَاتٍ طَرِيَ غَضَ"(٥).

وذكر **نشوان** أن الطُّرْثُوثَ نباتٌ له ثَمَرٌ يُؤْكَلُ، فقال:" الطُّرْثوثُ: نبات له أغصان دِقاق يضرب إلى الحمرة، وله ثَمَرٌ مِنْهُ مُرٌّ وَمِنْه حُلْوٌ يُؤْكَلُ"(٦)، والأزهري نص صراحة على أن الطُّرْثُوث لا ثمر له، ومع ذلك نصَّ–أيضًا– على أنه أكل منه، فكيف ذلك؟ بعبارة أخرى هل هو نبات له ثمر أم لا؟

<u>الذي يبدو لي صحة ما ذكره الأزهري، لعدة أمور هي:</u>

أولًا: الأزهري هو مَنْ ذهب إلى البادية وشاهد ما فيها من نباتات وحيوانات، فكلامه حُجَّة، لاسيما وقد نصَّ على رؤيته لهذا النبات، وهذا لم يتوفر لنشوان.

---

(١) المحكم (ط ر ث).
(٢) شمس العلوم (ط ر ث).
(٣) المقاييس (ط ر ث).
(٤) ينظر: الجمهرة (ط ر ث).
(٥) التاج (ط ر ث).
(٦) شمس العلوم (ط ر ث).

ثانيًا: لم ينص أحد ممن ذهب إلى البادية ونقل كلام العرب أن هذا النبات له ثمر يؤكل، كالخليل وأبي حنيفة الدينوري وابن الأعرابي، وإنما قالوا أن منه أحمر حلو يُؤكل، وأبيض مُرٌّ لا يأكله إلا المضطرُّ، دون وجود ذكر لثمر.

ثالثًا: الذي دفع نشوان إلى القول بهذا –في رأيي– أن هؤلاء العلماء ذكروا أن الطُّرْثُوث يؤكل، فظَّن أن الذي يؤكل منه ثمرة –على العادة في النباتات والأشجار المثمرة– وليس هذا بضروري فهناك من النباتات من تؤكل هي نفسها دون أن يكون لها ثمر، كقصب السكر مثلًا.

يؤيد هذا ما قاله أبو حنيفة الدينوري من أن الطُّرْثوث ليسَ فيه شيء أَطْيبَ من سُوقَتِه ولا أَحْلَي، وقال أيضًا:" السُّوقَةُ من الطرثوث: الطُّرْثوث مَا تَحْتَ النُّكَعة وَهُوَ كأَيْرِ الْحِمَارِ"(١). **وقال كذلك:**" وأخبرني البكري قال: يُجْلَب الطراثيث إلى المدينة في إبانها، فيباع الحِمْل بمائة درهم يشتريها الناس فيطبخونها. أو قال: يمُلُّونها ويُقَشِّرونها فيأكلونها وهي طيبة جدًّا"(٢).

وبالجملة فإن المُرَّ من الطُّرثوث من أخبث النبات عند العرب لمرارته الشديدة، **قال ابن دريد:**" وَسُئِلَ رجل من الْعَرَب: مَا أَخبث الطَّعَام؟ فَقَالَ: طُرْثُوثٌ مُرٌّ أَنْبَتَهُ القُرُّ. قَالَ الشَّاعِر: (٣)

أَرْضٌ عَنِ الخَيرِ والسُّلْطَانِ نَائِيَةٌ فالأَطْيَبَانِ بهَا الطُّرْثُوثُ والصَّرَبُ"(٤).

(١) المحكم (س و ق). "والنَّكعة، نَكَعة الطُرثوث: أَعْلَاهُ، وَهِي حَمْرَاء". الجمهرة (ن ك ع). وأَيْرُ الحمار: ذَكَرُه.

(٢) كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ص٦٧–٧٧.

(٣) الجمهرة (ط ر ث).

(٤) البيت من البسيط، بلا نسبة في المقاييس، والمحكم، والتاج،(ط ر ث)، والصَّرَبُ: اللبن الحامضُ جدّاً، وقيل: اللَّبَنُ الحَقِينُ الحامضُ وهو الذي حُقِنَ أيامًا حتى اشْتَدَّ حَمَضُه.

مما سبق يتضح أن

١- الأزهري وافق الليث فيما نقله من وصف الطرثوث، وزاد عليه ما فاته.

٢- الأزهري يبني على كلام من سبقه، مادام كلامه لم يخالف الصواب.

٣- الأزهري أتى–تقريبًا–على كل أوصاف الطُّرْثُوث فجاء وصفه شافيًا وكافيًا.

٤- أفاد الأزهري من تأخره عن العلماء الذين سبقوه إلى البادية، ففرق بين الطُّرْثُوثِ الذي ينبت في جبال خُرِسان، وبين الذي ينبت في البادية.

٥- (ع ر د) العَرَادة

قال الأزهري:" وَقَالَ اللَّيْث: العَرَادَةُ: نَبْتٌ طيّبُ الرِّيحِ. قلت: قد رَأَيْت العَرادَة فِي الْبَادِيَة، وَهِي صُلْبةُ العُودِ مُنْتَشِرَةُ الأغْصَانِ وَلَا رَائِحَة لَهَا"(١).

نقل الأزهري أن العرادة نبت طيّب الريح، ثم ذكر أنه رآه في البادية، وبيَّن أن من صفته أنه صُلْبُ العُودِ مُنْتَشِرُ الأغْصَانِ، وَلَا رَائِحَة لَه، وهنا يأتي الخلاف، فهل هذا النبات له ريح طيّب –كما قال الليث– أم لا؟

ما ذكره **الخليل** يؤكد أنه له رائحة طيبة، فقال:" والعَرَادَةُ: ضربٌ من نَبَاتِ الرَّبِيعِ، حشيشُهُ طيّبةُ الرِّيحِ. ويقال: العَرَادَةُ: الحَمْضُ تأكله الإبل"(٢).

وما نصَّ عليه الأزهري يقطع أنه نبات لا رائحة له، ولم يقف الأزهري عند ذلك بل وجَّه كلام لليث **بقوله:" وَالَّذِي أَرَادَ اللَّيْث العَرادَةَ فِيمَا أَحْسَبُ، فَإِنَّهَا بَهَار**

(١) التهذيب (ع ر د).

(٢) العين (ع ر د). الحَمْضُ: كُلُّ نَبَاتٍ لَا يَهيجُ فِي الرَّبِيعِ وَيَبْقَى عَلَى الْقَيْظِ وَفِيهِ مُلُوحَةٌ، وقيل الحَمْضُ: ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات.

البَرّ"[١]، "والبَهَارُ: نبتٌ طيب الرِّيح"[٢]. "والعَرَارُ: بَهارُ البَرّ، وَهُوَ نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيحِ؛ قَالَ ابْنُ بَرّيٍّ: وَهُوَ النَّرْجِسُ البَرّي"[٣].

وعلى هذا فالعَرَاد جمع العَرَادةِ نبت لا رائحة له كما قال الأزهري، وما ذكره الخليل هو صفة لنبات أخر هو العَرَار: الذي هو بَهارُ البَرّ وليس العراد، حيث صُحِّف اللفظ فأبدلت الدال من الراء خطّأً، أو التبس الأمر على الليث فوضع صفة العَرَار للعَرَاد ولم ينتبه للفرق بينهما.

والذي يبدو لي أن ما ذكره الأزهري هو الأولى بالقبول، فقد نصَّ صراحة على أنه رأى هذا النبات وخَبِرَ من صفاته أنه لا رائحة له، ووجَّه كلام الليث بما هو مقبول، ولم يأت أحدٌ بعده خالفه فيما قال، وأيضًا فلم يذكر أحد قبله ما يخالف كلامه أو يرجح قول غيره.

والعراد "منابته الرَّمل وسُهولُ الأَرْض ... وَقيل: هُوَ من نجيل العَذَاة"[٤].

وقد ذكر **ابن فارس** الدلالة المحورية للجذر فقال:"الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى قُوَّةٍ وَاشْتِدَادٍ، وَالْآخَرُ عَلَى مَيْلٍ وَحِيَادٍ" ثم قال في نهاية المادة:" وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ الْعَرَادُ: شَجَرٌ"[٥].

وهنا أسأل لماذا أخرج ابن فارس العَرَادة (النبات أو الشجر) عن الأصل الأول وهو –في نظري– متحقق فيه بشكل واضح؟

فهذا النبات قيل في وصفه: أنه صُلْبُ العود. وقيل: هو الغَلِيظُ العَاسِي المُشْتَدُّ من النَّباتِ. وقيل: عَرَد النَّابُ يَعْرُدُ عُرُودًا: خَرَجَ كُلُّهُ واشتَدَّ وانتصَبَ،

(١) التهذيب (ع ر د).
(٢) المنجد في اللغة ص١٤٧، وينظر: المحكم (ب هـ ر).
(٣) اللسان (ع ر ر).
(٤) المحكم (ع ر د).
(٥) المقاييس (ع ر د).

وكذلك النَّبَاتُ. وقيل: عَرَادٌ، كسَحَابٍ: نَبْتٌ صُلْبٌ مُنْتَصِبٌ، وعَرَد النَّبْتُ يَعْرُد عُرُوداً طَلَعَ وارتَفَع وخَرَج عَن نَعْمَته وغُضُوضَتِه فاشتَدَّ[١].

فإذا كانت كل هذه الصفات في هذا النبات فماذا يحتاج أكثر من ذلك حتى يكون داخلا في القوة والاشتداد اللتين نصَّ عليهما ابن فارس؟ **هذا من ناحية.**

من ناحية أخرى هذا النبات سُمِّي به رجلٌ، والنبات لا شكَّ أسبق في التسمية والوجود من الرَّجُل، **قال الزبيدي:**"وعَرَادَةُ اسمُ رجُلٍ سُمِّيَ باسم النَّبَاتِ"[٢].

فما هو وجه التسمية الذي قُصِد من الاسم إذا لم يكن القوة والشِّدَّة والصَّلابة تشبيهًا بهذا النبات أو هذا الشجر، خاصة في بيئة العرب القديمة التي لا تعرف منطقًا سوى القوة؟

فعلة تسمية الرجل في نظري هي التفاؤل بأنه يكون صُلْبًا قويًّا شديدًا حاله كحال هذا النبات، وعليه فهي داخلة في الجذر اللغوي (ع ر د) وليست شاذة كما قال ابن فارس، فعلة التسمية دليل على صحة المأخذ الاشتقاقي.

<u>مما سبق يتضح أن</u>

١- حياة الأزهري في البادية كان لها أكبر الأثر في تكوين ملكته اللغوية التي مكنته من الوقوف على حقائق كثير من الأشياء.

٢- نصَّ الأزهري على رؤيته لشيء يجعل كلامه محل قبول وثقه إذا تعارض مع كلام غيره، لا سيما إن كان كلامه مقبولًا من الناحية العلمية.

٣- هذا النبات أصل في الدلالة المحورية للجذر(ع ر د)، وليس شاذًا كما قال ابن فارس.

---

(١) ينظر: التاج (ع ر د).

(٢) التاج (ع ر د).

٦- (ع ل د) العَلَنْدَى

قال الأزهري:" والعَلَجانُ: شَجَرٌ يُشْبِهُ العَلَنْدَى، وَقد رأيتُهما فِي الْبَادِيَة، وأغصانهما صليبة، الْوَاحِدَة عَلَجانة"(١).

في معرض حديث الأزهري عن شجر(العَلَجَان) نصَّ على أنه رأى شجرة أخرى من شجر البادية يقال لها العَلَنْدى، وذكر أنها شجرة أغصانها صليبة.

ثم في موضع أخر شرحها تفصيلا –وإن لم ينص على أنه رآها– في معرض اعتراضه على تفسير الليث بأنها" شجرةٌ طويلةٌ من العِضَاهِ لا شوك لها"(٢).

فقال الأزهري:" لم يُصِبْ اللَّيْثُ فِي صِفَةِ العَلَنْدَاة؛ لِأَن العَلَنْدَاة شَجَرَةٌ صُلْبةُ العيدان، جاسية لَا يَجْهَدُها المالُ، وَلَيْسَت من العِضَاهِ، وَكَيف تكون من العِضَاهِ وَلَا شوك لَهَا؟ والعِضَاهُ من الشَّجر مَا كَانَ لَهُ شوك، صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا، والعَلَنْدَاة لَيست بطويلة. وأطولها على قدر قَعْدَة الرجُل، وَهِي مَعَ قِصَرها كثيفة الأغصان مجتمعة"(٣).

فذكر الأزهري أن الليث لم يصب في تفسيره للفظة، واعترض عليه في نقطتين، هما: **الأولى:** أنه ذكر أن العَلَنْدَاة شجرة طويلة، وذكر الأزهري أنها ليست بالطويلة وأن أَطْوَلَها على قَدْرِ قِعْدَة الرَّجُلِ. وإن كان **كُرَاع النمل** نص على أنها شجرة طويلة(٤).

---

(١) التهذيب (ع ل ج).

(٢) العين (ع ل د).

(٣) التهذيب(ع ل د). وجاسية: يابسة، لا يجْهَدُها المال: أَي لَا يُكْثِرُ مِنْهَا، وَهَذَا كَلأٌ يَجْهَدُه الْمَالُ إِذا كَانَ يُلِحُّ عَلَى رَعِيَّتِهِ، وقِعْدَة الرَّجُلِ: مِقْدَارُ مَا أَخذ مِنَ الأَرض قُعُودُه.

(٤) ينظر: المنتخب من كلام العرب ص٤٦٣.

الثانية: أن الخليل ذكر أنها من شجر العضاه لا شوك لها، وأهل العربية على أن العضاه اسم عام يشمل تحته أنواعًا كثيرة من الشجر، ولا يطلق إلا على كل ما كان له شوك(١).

ثم جاء **ابن دريد** فذكر أن العضاه من الشجر ما له شوك، ثم جعل العَلَنْدَى منها، وهو ليس منها، فقال:" والعَلَنْدَى: شجر من العِضاه لَهُ شوك"(٢).

وأضاف **ابن سيده** على ما ذكره الأزهري من أوصاف، فقال:" والعَلَنْدَى: ضرب من شَجَر الرمل وَلَيْسَ بحَمْضٍ، يهيجُ لَهُ دُخان شَدِيد، قَالَ عنترة:

سيأتيكُمُ مِنّي وَإِن كَانَ نائِيا دُخانُ العَلَنْدى دونَ بَيْتِيَ مِذْوَدُ(٣)

أَي سَيَأْتِيكُمْ مِذْوَدٌ يَذُودُكم، يَعْنِي الهجاء. وقولُه: دخانُ العَلَنْدَى دون بَيْتِي. أَي مَنابِتُ العَلَنْدى بيني وَبَيْنكُم. وَقيل: العَلَنْدَى: مِن العِضَاةِ وَلَا شَوْكَ لَهُ"(٤).

مما سبق يتضح أن

١- الأزهري تحدث عن شجر العَلَنْدى في موضعين: صرَّح بالرؤية في أحدهما ولم يصرح في الموضع الأخر مع أنه هو الأولى به لأنه بابه، ولعل سبب ذلك اهتمامه بالرد على ما ورد في كتاب (العين) وتصحيحه.

٢- الأزهري معتدل في أحكامه، لا يبخس أحد حقه، فعلى الرغم من مخالفته لصاحب العين إلا أنه لم يتجاوز في الرد بما يقدح فيه أو يقلل من قيمته، على خلاف عادته.

---

(١) ينظر: الصحاح (ع ض ه)، وينظر: المحكم (ع ض ه).

(٢) الجمهرة (ع ل د).

(٣) البيت من الطويل، في ديوانه ص٢٨١، برواية (عَنِّي) بدلا من (مِنِّي)، أي سيأتيكم منِّي هجاء يكون في شهرته بمنزلة الدخان، والمِذْوَدُ: اللِّسانُ؛ لأَنَّه يُذادُ به عن العِرْضِ.

(٤) المحكم (ع ل د). وينظر: التاج (ع ل د). والحَمْض مِنَ النّباتِ مَا فِيهِ مُلُوحَةٌ، وقيل: والحَمْضُ: ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات.

٣- مَنْ نصَّ مِنْ العلماء على أنه رأى شيئا ووصفه وصفًا دقيقًا وجب متابعته والسير مع قوله، فضلًا عن أن يكون ممن يوثق بعربيته كالأزهري وعليه: فما قاله الأزهري هو الأولى بالقبول.

٤-كثير من العلماء المتأخرين نقلوا كلام الخليل وكلام الأزهري دون تعليق أو ترجيح أو أي شيء يمكن أن نبي عليه، وهذا يجعلنا في حيره، ويضع أسئلة لا يمكن أن نجيب عنها مثل هل هذا النبات من العِضاة أم لا؟ هل له شوك أم لا؟ هل هو طويل أم قصير؟

٥-من الممكن أن يكون هذا الاسم عامًّا سمي به أكثر من نبات، فذكر كل عالم ما وصل إليه أو ما سمع عنه، وأيضًا من الممكن أن يكون هذا الاسم عام في نوع الشجر تندرج تحته أنواع كل منها له صفة مختلفة عن الأخر. لكن كل هذا الكلام يحتاج إلى دليل، وليس لدينا دليل.

٧- (ع هـ ن) العِهْنَة

قال الأزهري:"**وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَةِ شَجَرَةً لَهَا وردةٌ حَمْرَاءُ يسمُّونَهَا العِهْنَة**"(١).

العِهْنَةُ: القِطْعَةُ من العِهْنِ، والعِهْنُ: اسمٌ للصُّوفِ عامَّة؛ أَو هُوَ المَصبوغِ أَلْواناً(٢)، فيقال: كلُّ صُوفٍ عِهْنٌ. قال عَرَّام: ولا يُقَالُ إلاَّ للمَصْبُوغِ(٣).

ونص الأزهري على دلالة آخرى للفظ، فذكر أن العرب تُطلِق على نوع من الشَّجَرِ يوجد في البادية اسم (العِهْنَة)، وذكر أن من صفته أنه يكون فيه وردة حمراء، وهذه التسمية وهذا الوصف لم يذكره سوى الأزهري، إلا من أخذ عنه، ونصَّ على رؤيته لها(٤).

(١) التهذيب (ع هـ ن).
(٢) ينظر: التاج (ع هـ ن).
(٣) ينظر: العين (ع هـ ن).
(٤) ينظر: اللسان (ع هـ ن). والتاج (ع هـ ن).

ومن العلماء من ذكر اللفظة قبل الأزهري ونعتها بقوله: بقلة، واكتفى بذلك دون أن يبين لنا ما شكلها وما وصفها وما تمتاز به عن غيرها؟ وهكذا، **قال الزبيدي:**" وقالَ أَبو حَنيفَةَ: هِيَ بَقْلَةٌ"(١). يقصد (العِهْنَة) ولم أجدها في كتاب النبات(٢). وذكرها بعد الأزهري **ابن بري** فقال:" والعِهْنة: مِنْ ذُكُورِ البَقْل"(٣).

فإذا كان الأزهري على أن العِهْنَةَ شجرةٌ، وغيره على أنها بقلة، فما الفرق؟

يجيب عن هذا السؤال **الخليل بن أحمد** فيقول:" البقْلُ من النَّبَاتِ: مَا لَيْسَ بِشَجَرٍ دِقّ وَلَا جِلّ، وفَرْقُ مَا بَين البَقْل ودِقّ الشَّجرِ أَنَّ البقل إِذا رُعِيَ لم يَبقَ لَهُ ساقٌ، وَالشَّجر تَبقى لَهُ سُوق وَإِن دَقَّتْ"(٤). **وقال ابن فارس:**" وَفَرَقَ مَا بَيْنَ الْبَقْلِ وَدِقّ الشَّجَرِ بِغِلَظِ الْعُودِ وَجِلَّتِهِ، فَإِنَّ الْأَمْطَارَ وَالرِّيَاحَ لَا تَكْسِرُ عِيدَانَهَا، تَرَاهَا قَائِمَةً أُكِلَ مَا أُكِلَ وَبَقِيَ مَا بَقِيَ"(٥).

وعلى هذا فما ذكره أبو حنيفة الدينوري وابن بري يختلف مع ما ذكره الأزهري، وهذا يأخُذُنا إلى سؤال أخر، هو العِهْنَة شجرة أم بقلة؟

ما ذكره الأزهري واضح وصريح في أنها شجرة ولها وردة حمراء، وما ذكره أبو حنيفة الدينوري صريح في أنها بقلة.

---

(١) التاج (ع هـ ن).

(٢) ويبدو أنها من جملة ما فُقِد من تراث أبي حنيفة الدينوري.

(٣) التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح (ع هـ ن).

(٤) ينظر: العين (ب ق ل). ولتوضيح كلام الخليل أذكر ما قاله ابن سيده:" يُقَال لكل مَا سما بِنَفسِهِ – شجرٌ دِقٌّ أَو جِلٌّ قاوم الشتَاء أَو عجز عَنهُ، وَقيل لَهُ شجرٌ؛ لِأَنَّهُ شَجَرَ وَسَمَا، وكل مَا سَمَكْتَهُ وَرَفَعْتَهُ: فقد شجرته". المخصص (بَاب أَوْصَاف الشَّجر الَّتِي تعمه دون الْأَوْصَاف الَّتِي تخص وَاحِدًا وَاحِدًا).

(٥) المقاييس (ب ق ل).

والذي يبدو لي أن ما ذكره الأزهري هو الأولى بالقبول؛ فقد صرَّح بالرؤية البصرية التي لا يُحْتَمَل فيها التأويل، فلو قال –مثلًا– سمعت أو أُخْبِرتُ لكان هناك مجال لذلك، أما قوله رأيت فهو يقطع الطريق أمام كل التكهنات.

وما ذكره غيره جاء مقتضبًا جدًّا، فلم يخصَّها بأي شيء فلا نعرف من أين وصلت إليه أهي رؤية بصرية أم أخذ عن عربي ثقة أم غير ذلك؟

لكن من الممكن أن يكون كلا القولين صحيحًا، وتكون العرب قد اطلقت اسم(العِهْنَة) على نوع من الشجر رآه الأزهري فنقله، وعلى نوع من البقل عرفه أبو حنيفة ونقله عنهم أيضًا. لكن هذا كلام يحتاج إلى دليل، والدليل مفقود.

وهذا ما تشير إليه الدلالة المحورية للجذر، **قال ابن فارس:**" الْعَيْنُ وَالْهَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَسُهُولَةٍ وَقِلَّةِ غِذَاءٍ فِي الشَّيْءِ"، فهذا اللين وهذه السهولة توجد في كونه شجرًا وقد توجد في كونه بقلًا.

٨- (غ ر ف) الغَرْف

قال الأزهري:" **أما الغَرْفُ بسكونِ الرَّاء فهيَ شجرةٌ يُدبغُ بهَا ... وَقَالَ الباهليُّ: الغَرْفُ جلُودٌ لَيْسَتْ بِقَرَظِيَّة تُدْبَغُ بِهَجَر، وَهُوَ أنْ يُؤخذَ لَهَا هُدْبُ الأرْطَى فيوضعَ فِي مِنكازٍ ويُدَقَّ ثمّ يطرَح عَلَيْهِ التمرُ فتخرُج لَهُ رائحةُ خَمْرةٍ ثمَّ يغرَف لكل جلدٍ مقدارٌ ثمَّ يُدبَغ بِهِ، فَذَلِك الَّذِي يُغرَفُ يُقَال لَهُ الغَرْفُ، وكل مقدارِ جلدٍ من ذَلِك النَّقيع فَهُوَ الغرْفُ واحدُه وجميعُه سواءٌ، قَالَ: وأهلُ الطَّائِف يُسَمونه النَّفس. قلت: والغَرْفُ الَّذِي يُدبَغُ بِهِ الجلودُ من شجَرِ الْبَادِيَة معروفٌ وَقد رأيتُه وَالَّذِي عِنْدِي أَن الجُلُودَ الغَرْفِيَّةَ منسوبةٌ إِلَى الغَرْفِ الشَّجَرِ لَا إِلَى غَرْفة تغترَفُ بِالْيَدِ**"[(١)].

(١) التهذيب (غ ر ف).

في النصّ السابق ذكر الأزهري أن الغَرْفَ شجر يُدْبَغُ بِهِ، ولم يزد على ذلك حتى ذكر كلام الباهلي الذي يفيد أن علة تسمية الجلود الغَرْفيَّة بذلك أو التي يقال لها: الغَرْف هو ما يحدث لها من الغَرْف باليد من الصِّبغ الذي يصنع لتُصْبَغ به، فردَّ الأزهري علة التسمية هذه، وذكر أنها إنما سميت بذلك لكون هذا الصبغ الذي تدبغ به مصنوع من شجر الغَرْف نفسه الذي رآه في البادية، من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره، ونسبته إليه.

واكتفى الأزهري بهذا في وصف الشجر وبيانه، ولم نقف في كلامه على كُنهْهِ الشجر، هل له ورق أم لا؟ هل هو طويل أو قصير؟ هل يُؤْكل أم لا؟ هل له فوائد آخرى أم لا؟ سكت الأزهري عن هذا كله، واكتفى بأنه يصبغ به.

ومن العلماء من لم يزد عن هذا كثيرًا. **قال الخليل:**" والغَرْفُ: شجر يجلب من يبرين، وهو لا يوكع الأديم أي يغلظُ، والغَرْفُ: شجرٌ إذا يبس فهو الثُّمامُ"(١). **وقال أبو عمرو الشيباني:**" والغَرف: ما نبت في السَّهْل"(٢). **وقال ابن الأنباري:**" والغَرْفُ والغَلَفُ: شجران يُدْبَغُ بهما"(٣).

ولكن هناك من العلماء مَنَ ذكر ما لهذا الشجر من أوصاف، وما له من استخدامات، وقد جمها الزبيدي فقال:" الغَرْفُ بالفَتْح ويُحَرَّكُ وَهَذِه نَقَلَها أَبو حَنيفَةَ والجَوْهرِيُّ عَن يَعْقُوب: شَجَرٌ يُدْبغُ بهِ فإِذا يَبِسَ فَهُوَ الثُّمامُ، وَقَالَ أَبو عُبَيْدٍ: هُوَ الغَرْفُ والغَلْفُ، وَقَالَ أَبو حَنِيفَةَ: الغَرْفُ والغَلْفُ، وَقَالَ أَبو حَنِيفَةَ: الغَرْفُ: شَجَرٌ يُعْمَلُ مِنْهُ القِسِيُّ وَلَا يَدْبُغُ بِهِ أَحدٌ، وَقَالَ القَزّازُ: يَجوزُ أَنْ يُدْبَغَ بوَرَقِهِ، وإِنْ كانَت القِسِيُّ تُعْمَلُ من عِيدانِه، وحكَى أَبو مُحَمّدٍ، عَن الأَصْمَعِيّ، أَنَّ الغَرْفَ

(١) العين (غ ر ف). ويبرين: موضع ذو رمل، يقال رمل يبرين.
(٢) الجيم ص٣/٩.
(٣) المنتخب من كلام العرب ص٤٦١. وينظر: ديوان الأدب١/١٢١، المحكم(غ ر ف).

يُدْبَغُ بوَرَقِه، وَلَا يُدْبَغُ بعِيدانِه ... وقالَ الأَصْمَعِيّ: الغَرْفُ، بإِسْكانِ الراءِ: جُلودٌ يُؤْتَى بهَا من البَحْرَيْنِ، وقالَ أَبُو خَيْرَةَ: الغَرْفِيَّةُ يَمانِيّةٌ وبَحْرانِيّةٌ ... وقالَ ابنُ الأَعْرابِيّ: الغَرَفُ بالتّحريك: الثُّمامُ بعَيْنِه لَا يُدْبَغُ بِهِ، قالَ الأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا الَّذي قالَه ابنُ الأَعْرابِيّ صَحيحٌ، وقالَ أَبو حَنيفَةَ: إِذا جَفَّ الغَرَفُ فمَضَغْتَه شَبَّهْتَ رائحتَه برائحة الكافُورِ. أَو هُوَ الثُّمامُ مَا دامَ أَخْضَرَ"[1].

مما سبق يتضح أن

١- الأزهري لم يوف هذا الشجر حقَّه من الوصف، فجاءت عباراته مختصرة جدًّا لم توضح عنه الشيء الكثير الذي ربما احتجنا إلى معرفته.

٢- الأزهري -في رَأْيي- إذا شُغِل بمسألة أنسته باقي المسائل، فمثلًا فعندما تعرَّض لبيان علة التسمية الحقيقية -من وجهة نظره- ترك وصف الشجر الذي نصَّ على رؤيته، وكذلك عندما تعرَّض لبيان الوجوه الصوتية في لفظ (الثَّغَر) ترك الناحية الدلالية بالكلية.

٣- الغَرْف والغَرَف يقال بالتسكين والتحريك ودلالته واحدة، وإن كان الأزهري قد فرَّق بينهما، إلا أن جُلَّ العلماء قالوا بأنهما بمعنى.

٤- ابن الأعرابي فرَّق بين (الغَرْف والغَرَف) فالبتَّسكين هو الشجر محل الدراسة، وبالتحريك فهو نبات الثمام، وأوضح أن الذي يستخدم في الدِّباغ هو الغَرْف بالتسكين أما بالفتح فلا يدبغ به، وتبعة الأزهري في ذلك.

٥- الغَرْف شجر كثير الفوائد متعدد الاستخدام -وهذه ربما ملاحظة عامة في كل نبات تقريبًا عند العرب، فهم يعملون جاهدين على استخراج كل ما يمكن من الشيء الذي أُتِيح لهم في هذه الصحراء القاحلة، وخاصة من الأشجار

(١) التاج (غ ر ف).

والنباتات– فيصنعون منه القسي وتتّخذون مِنْهُ المَكانس، وَيُظَلَّلُ بِهِ المزادُ فيُبَرِّد الْمَاءَ، وهكذا.

٦– الأشهر في استخدام شجر الغَرْف هو دَبْغ الجلود، وهذا محل خلاف بين العلماء، فمنهم من قال بأنه يدبغ به كابن الأنباري والفارابي، وقصر القزاز الدباغ على ورقه، ومنهم من قال بأنه لا يدبغ به كأبي حنيفة الدينوري، ونُقِل عن الأصمعي أنه شجر يدبغ بورقه ولا يدبغ بعيدانه، وهذا هو الراجح، والذي عليه كثير من اللغويين.

٩- (ق س ر) القَسْوَر

قال الأزهري:" قَالَ اللَّيْث: القسر: القهْرُ على الكره. يُقَال: قسَرته قسْراً واقتسرته أعمُّ، قَالَ: والقَسْوَرُ: الرَّامِي والصَيَّادُ، وَأنْشد:

وشَـــرشَـــرٍ وقَسْـــوَرِ نَضْـــرِيّ[١]

قَالَ: الشَّرَشِر: الكلبُ، والقسورُ: الصيادُ، والجميعُ قُسورةٌ. وَقَالَ الله:[فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾] (المدثر: ٤٩– ٥١)، همُ الرُّمَاة. قَالَ أَبُو مَنْصُور: أَخطَأ اللَّيْث فِي تَفْسِير الشَّرَشِر والقَسْوَرِ مَعًا، وَأَخْطَأ فِي القَسْوَرةِ أَنه جمع القَسْوَرُ[٢]، والشَّرَشِر والقَسور: نبتانِ معروفانِ وَقد رأيتهما مَعًا فِي البادِيةِ، وذَكرهما الْأَصْمَعِي وَابْن الْأَعرَابِي وَغَيرُهُمَا، والنَّضْرِيُّ: النَّاضِرُ الأَخْضَرُ"[٣].

(١) البيت من الرجز، للعجاج في ديوانه ص٣٠٥.

(٢) جاء في اللسان" وَهذا الجمع خطأٌ؛ لأنه لَا يُجْمَعُ قَسْوَرٌ عَلَى قَسْوَرة إنما القَسْورة اسْمٌ جَامِعٌ للرُّماة، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. ينظر: اللسان (ق س ر).

(٣) التهذيب (ق س ر).

نصَّ الأزهري على أنه رأي في البادية نباتًا يقال له: القَسْوَرُ، ولم يذكر من صفته شيء في التهذيب، وإنما نُقِل عنه أنه تُسَمَّنُ الإِبلُ عَلَيْهِ وتَغْزُرُ لبنها بسبب تناوله(١).

وما تركه الأزهري نصَّ عليه غيره. **قال السرقسطي:**" وَالْقَسْوَرُ: نَبْتٌ كَثِيرُ الْمَاءِ، يَفْتِقُ الدَّوَابَ"(٢). **وقال ابن سيده:**" والقَسْوَرُ: ضرب من النَّبَات سهلي، واحدته: قسورة. وَقَالَ أَبُو حنيفَة: القَسْوَرُ: حَمْضَةٌ من النَّجيل، وَهُوَ مثْلُ جُمَّةِ الرجل يطول ويعظم، وَالْإِبِل حُرَّاصٌ عَلَيْهِ"(٣).

ورؤية الأزهري لهذا النبات هي التي دفعته إلى تخطئة الليث في تفسيره للفظ القَسْوَرِ، بأنه: الرَّامِي والصَيَّادُ.

وهنا أتسأل، هل من الممكن أن يقع الليث (الخليل) في مثل هذا الخطأ؟ بعبارة آخرى، هل خفى على الليث (الخليل) أن القَسْوَرَ نَبت من نبات البادية، وهو الذي ذهب إليها، وسمع من أهلها، وليس له هَمٌّ إلا جمع اللغة فقط؟ في الوقت الذي علمه غيره كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهما.

في رأيي أن هذا الكلام يحتاج إلى إعادة نظر دون التقليل أو القدح في أحد. وإن كان لي ذلك فمن الممكن القول بعدَّة أمور، هي:

أولًا: ذكر الخليل أن القَسْوَرَ: الصياد والرَّامِي، واستشهد على ذلك بقوله تعالى:**[فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ]**، فتفسير اللفظ جاء في سياق هذه الآية، والآية لم يختلف أحد من العلماء على أن من دلالات اللفظ –هنا– الصياد أو الرامي، فجاء توضيح اللفظ مناسبًا لما استشهد به، فليس الكلام على الإطلاق، فمعنى اللفظ

(١) هذا القول منسوب للأزهري في اللسان، لم أجده في التهذيب. ينظر اللسان(ق س ر).
(٢) الدلائل في غريب الحديث ٥٢٥/٢.
(٣) المحكم (ق س ر).

محكوم بالسياق الذي ورد فيه. **قال ابن الشجري:**" القسورة: الأسد. والقسورة: الصائد. وقيل: الرامي. وعلى الأسد والرماة الذين يتصيدون الوحش فُسِّر القسورة في قول الله تعالى:**[فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ]**"(١).

ثانيًا: الدلالة المحوري للجذر (ق س ر) تدل على "**قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ بِشِدَّةٍ**"(٢) وهذا متحقق في الرامي والصيَّاد؛ لذكائه ونصب الأكمنة لهذه الحيوانات التي يريد صيدها، فهو بتمكنه من الاختفاء والآلات التي يستخدمها في الصيد يستطيع قهر وغلبة الفريسة.

ثالثًا: اعتمد الأزهري في تخطئته لليث على تفسيره اللفظ في قول العجاج: **(وشَرشَرٌ وَقَسْوَرٌ نَضْرِيُّ)**، وهذا النصُّ لم أجده في كتاب العين(٣)، وأيضًا لم أجد أحدًا من العلماء نسبه للخليل إلا من خلال الأزهري، وعليه: (فالخليل) أو الليث لم يفسِّر اللفظ على أنه النبات، بل جاء تفسيره للفظ في سياق الآية.

وعلى فرض أن الأزهري اطلع على نسخة غير التي بين أيدينا، وأن الخليل قد ذكر فيها بيت العجاج السابق، فلفظ القَسْوَرِ من المشترك اللفظي فهو يطلق على مسميات كثيره منها (الراعي والرامي والصياد والأسد وأول الليل ونصف الليل والنبات السهلي وغير ذلك)(٤) فما ذكره الخليل ليس خطأ بالكلية– إن صح هذا التعبير– بل هما من دلالات اللفظ، ولكنه خطأ في عدم مراعاة السياق فيما أنشد من الشعر، فقول الأزهري:" أَخطَأَ اللَّيْث فِي تَفْسِير الشَّرَشِر والقَسْوَرِ مَعًا"، يدل لفظ معًا على كونها داخل البيت.

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه ص٣٤١.
(٢) المقاييس (ق س ر).
(٣) ينظر: العين (ق س ر).
(٤) ينظر: التاج (ق س ر).

رابعًا: إذا كان الليث لم يتعرض إلى القسور(النبات)، فهذا مما قد يؤخذ عليه أنه أهمل بعض دلالات اللفظ، ولكن ألا يمكن أن يكون الليث لم ير هذا النبات ولم يسمع عنه!! فليس كل من ذهب إلى البادية رأي كل نبات وكل حيوان فيها، فهناك نباتات توجد في بعض الأماكن ولا توجد في غيرها، فلا نحاكم من غاب عنه شيء ولم يصل إليه.

وإن نَصَّ الأزهري على أن النبات معروف، عَرِفه من هم بعده كالأصمعي وابن الأعرابي، لكنه ليس بالدليل القاطع على أنه أهمله فقد يصل المتأخر لما لم يصل إليه المتقدم جاء في اللسان عن الأزهري "وَقَدْ رأَيته فِي الْبَادِيَةِ تُسَمَّنُ الإِبل عَلَيْهِ وتَعْزُر، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الأَعرابي وَغَيْرُهُ فِي أَسماء نُبُوت الْبَادِيَةِ"(١).

خامسًا: ذكر الأزهري أن معنى النَّضْريّ في البيت السابق: النَّاضِرُ الأخضرُ، وهذا يناسب كونهما نباتين، والرامي والصياد لا يوصفان بالنضارة والخضرة، فهما بالنبات أولى.

ومما هو جدير بالذكر أن الأزهري شُغِل بتصحيح ما وقع فيه الليث وترك ما لهذا النبات من صفات تكشف حقيقته وتوضحها لأهل العربية.

قال ابن سيده:" والقَسْوَرُ: ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ سُهْلِيٌّ، وَاحِدَتُهُ قَسْوَرة. وَقَالَ أَبو حَنِيفَةَ: القَسْوَرُ حَمْضَة مِنَ النَّجِيل، وَهُوَ مِثْلُ جُمَّةِ الرَّجُلِ يَطُولُ ويَعْظُم والإِبل حُرَّاص عَلَيْهِ"(٢).

(١) اللسان (ق س ر).

(٢) المحكم (ق س ر).

١٠- (ق ف ع) القَفْعَاء

قال الأزهري:" والقَفْعَاءُ من أَحْرَار الْبُقُول، وَقد رَأَيْتهَا فِي بِلَاد تَمِيم، وَلها نُوَير أَحْمَر. وَقد ذكرهَا زُهَيْر فَقَالَ[١]:

بالسِّيِّ مَا تُنْبِتُ القَفْعَاءُ والحَسَكُ"[٢].

وقال الأزهري أيضًا:" المَكْر والقَفْعاء، معروفان، قد رأيتهما فِي الْبَادِيَة"[٣].

ذكر الأزهري أنه رأى نبات القَفْعاء في موضعين من كتابه: **الأول** في مادة (ق ف ع) نصَّ على أنه رآه في بلاد تميم. **والثاني**: في مادة (أ و ل) وذكر أنه رآه في البادية، ولا تعارض فبنو تميم من أهل البادية وسكان الصحراء[٤].

وقد اقتصر الأزهري في بيان ووصف القفعاء على أنه من أحرار البقول[٥]، وله نوير أحمر، وهذا غير كافٍ، فما الذي دفع الأزهري إلى هذا الاختصار؟

الذي يبدو لي أنه اكتفى بما نقله عن الليث فقد نصَّ على رؤيته بعد ذِكْرِ كلام الليث مباشرة، فكان ذلك إقرارًا منه بأنه رآه على الصفة التي ذكرها الليث فلم يرد أن يكرر كلامًا لا فائدة من تكراره. **قال الأزهري:**" وَقَالَ اللَّيْث: القَفْعَاءُ:

---

(١) عجز بيت من بحر البسيط في ديوانه ص٨٠، صدره: **جُونِيَّةٌ كحَصَاة القَسْمِ مَرْتَعُها**. الحَسَكُ: نَبَات لَهُ ثَمَرَة خشنة تعلق بأصواف الْغنم، غير أن الحسَكَ هَاهُنَا يراد به ثَمَرَة النَّفْل وَلَيْسَ هُوَ الحَسَكَ الشاك، لِأَن شَوْكَة الحَسَكِ لَا تسيغها القطاة بل تقتلها.

(٢) التهذيب (ق ف ع).

(٣) السابق (أ و ل).

(٤) ينظر: معجم ما استعجم للبكري ٨٨/١، وتاريخ ابن خلدون ٣٧٧/٢، ولغة تميم دراسة تاريخية وصفية، دكتور/ ضاحي عبد الباقي ص٣٢.

(٥) وأَحْرَارُ الْبُقُول: مَا أكل غير مطبوخٍ واحدُها حُرٌّ، وَقيل: هُوَ مَا خَشُنَ مِنْهَا(ح ر).

حشيشة خَوَّارَةٌ من نَبَات الرَّبِيعِ خَشْناءُ الْوَرقِ، لَهَا نَورٌ أَحْمَر مثل شَرَر النَّار، وورقها ترآها مستعْلياتٍ من فَوق، وَثَمَرهَا مُقَفَّعٌ من تَحت"(١).

وعلى هذا فكل ما جاء من وصف لهذا النبات عن الليث قال به الأزهري، ولو كان هناك ما يخالف ذلك لنصَّ عليه ووضحه كما فعل فيما سبق.

وقد زاد بعض العلماء في وصف هذا النبات.فقالوا القَفْعاء: حشيشة ضَعِيفَة خَوَّارَةٌ. وَقيل: هِيَ شَجَرَة تنْبت فِيهَا حلق كحلق الخواتيم، إِلَّا إِنَّهَا لَا تلتقي، يكون ذَلِك مَا دَامَت رطبَة، فَإِذا يَبِسَتْ سقط ذَلِك عَنْهَا... وَقَالَ أَبُو حنيفَة: القَفْعاءُ: شَجَرَة خضراء مَا دَامَت رطبَة، وَهِي قضبان قصار، تخرج من أصل وَاحِد، لَازِمَة لِلْأَرْض، وَلها وريق صَغِير، وَقَالَ بعض الرواة: القَفْعاء من أَحْرَار البقل، تنْبت مسلنطحة، وَرقهَا مثل ورق الينبوت، وَقد تَقَفَّعَتْ هِيَ"(٢).

وقد جاءت تسمية هذا النبات متوافقة مع صفاته ودلالة الجذر المحوري فهو نبات قضبانه قصار، تخرج من أصل وَاحِد، لَازِمَة لِلْأَرْض، وَلها وريق صَغِير مُتَجَمِّعة، **قال ابن فارس:**" الْقَافُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ كَلِمَاتٌ تَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعٍ فِي شَيْءٍ. يُقَالُ: أُذُنٌ قَفْعَاءُ، كَأَنَّهَا أَصَابَتْهَا نَارٌ فَانْزَوَتْ. وَالرِّجْلُ الْقَفْعَاءُ: الَّتِي ارْتَدَّتْ أَصَابِعُهَا إِلَى الْقَدَمِ مِنَ الْبَرْدِ"(٣).

<u>مما سبق يتضح أن</u>

١- الأزهري كانت له رحلات وجولات في البادية، فلم يكن حبيس مكان بعينه، فهو يدور مع قبيلة القرامطة حيث داروا، وهذا أتاح له رؤية أشياء أكثر.

٢- لا يمتنع الأزهري عن توضيح لفظ في غير مادته إذا دعت الحاجة لذلك.

(١) التهذيب (ق ف ع). الخَوَّار: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا بَقَاءَ لَهُ عَلَى الشِّدَّةِ.

(٢) ينظر مادة (ق ف ع) في: المحكم، واللسان، والتاج. وقضبان: أغصان.

(٣) المقاييس (ق ف ع).

٣- الأزهري يبني على كلام من سبقه، فلم يكثر في وصف النبات الذي وصفه غيره -ممن هو ثقه- ما دام وصف الأول صحيح، أما إن كان به خطأ بيَّنه ووضَّحه على الفور.

٤- القفعاء نبات له شهرة واسعة في بلاد العرب، وهو من أحرار البقول.

جدول ببقية أسماء النباتات التي رأها الأزهري في البادية

المادة	الكلمة	نص الأزهري في التهذيب
ح ر ش ف	الحَرْشَف	"والحَرْشَفُ: نَبْتٌ عريضُ الْوَرقِ رَأَيْتُهُ فِي الْبَادِيَة".
ع ل ج	العَلَجَان	"والعَلَجانُ: شَجَر يُشبه العَلَندَى، وَقد رأيتُهما فِي الْبَادِيَة، وأغصانهما صليبة، الْوَاحِدَة عَلَجانة".
م ر خ ع ر ف	المَرْخ العَفَار	قال الأزهري:" قَال الله﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾﴿إِنَّهَا المَرْخُ والعَفَارُ، وهما شجرتان فيهمَا نَارٌ لَيْسَ فِي غَيرهمَا من الشَّجَرِ، ويُسَوَّى مِنْ أغصانِهِمَا الزِّنَاد فيُقْتدحُ بهَا. وَقد رأيتهما فِي الْبَادِيَة. وَالْعرب تضرب المَثَل بهما فِي الشَّرَفِ العالي، فَتَقول: فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ، واستَمْجَد المَرْخُ والعَفَارُ.استَمْجَد: استكثر. وَذَلِكَ أَن هَاتين الشجرتين من أَكثر الشَّجَرِ نَارًا، وَزَنَادَهُمَا أسْرع الزِّنَادِ وَرْيًا، والعُنَّاب من أقلّ الشَّجَرِ نَارًا".
م ص خ	المُصَّاخ	"وَقد رأيتُ فِي الْبَادِيَة نَبْتاً يُقَال لَهُ: الْمُصَّاخُ والثُّدَّاءُ، لَهُ قُشُور بَعْضهَا فَوق بعض، كلما قَشَرْتَ مِنْهُ أُمْصُوخَةً ظهَرَتْ أُخْرَى. وأهلُ هَرَاةَ يُسَمُّونَهُ: دَلِيزَاذَ".

المبحث الثاني: ما رآه الأزهري في البادية من المظاهر الطبيعية

١ـ (أ ل ل) الآل – (س ر ب) السَّرَاب

قال الأزهري:" وَأَخْبرنِي الْمُنْذِرِيُّ، عَن أبي الْهَيْثَم، عَن الْأَصْمَعِي: السَّرَابُ، والآل، وَاحِد. وَخَالَفَهُ غَيره، فَقَالَ: الْآل من الضُّحى إِلَى زَوال الشَّمس. والسَّرابُ: بعد الزَّوَالِ إِلَى صَلَاة العَصرِ. واحتجُّوا بِأَن الْآل يَرفَعُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى يصير لَهُ آلٌ، أَي شخص، وَآل كل شَيْء شَخْصُه. وَأَن السَّارِبَ يَخْفِض كلَّ شَيْء فِيهِ حَتَّى يصير لاصقًا بِالْأَرْضِ لَا شَخْص لَهُ. وَأَخْبرنِي المُنْذرِي، عَن الأعلم أبي بكر، عَن ابْن سَلام، عَن يُونُس، قَالَ: قَالَت الْعَرَب: الآلُ: مُذْ غُدْوة إِلَى ارْتِفَاع الضُّحَى الأعْلى، ثمَّ هُوَ سَراب سائرَ الْيَوْم. وَأَخْبرنِي، عَن الحرَّاني، عَن ابْن السِّكيت: الْآل: الَّذِي يَرفع الشُّخُوصَ، وَهُوَ يكون بالضُّحى؛ والسَّرَابُ: الَّذِي يَجْرِي على وَجه الأَرْض كَأَنَّهُ المَاء، وَهُوَ يكون نِصْفَ النَّهَار. قلت: وعَلى هَذَا رَأَيْت الْعَرَب فِي الْبَادِيَة. وَهُوَ صَحِيح"(١).

هذا النصُّ يختلف عن غيره، فالأزهري لم يقصد فيه وصف شيء رآه فقط، بل قصد فيه التفريق بين لفظين يجمعهما حقل دلالي واحد، معتمدًا في ذلك على ما رآه في البادية، وبيَّن أن بين اللفظين فرقًا دلاليًّا.

والعلماء في هذه المسألة على قسمين، هي:

<u>الأول:</u> لا يفرق بين اللفظين، فهما بمعنى، واللفظان عنده من المترادف، بل منهم من فسر أحد اللفظين بالأخر. **قال الخليل:**" والسَّرابُ: الآلُ"(٢). **وقال أيضًا:**" والآل: السَّراب"(٣). **وقال:**" **الأَصمعي:** الْآلُ وَالسَّرَابُ: وَاحِدٌ"(٤).

---

(١) التهذيب (أ ل ل).

(٢) العين (س ر ب).

(٣) السابق (أ و ل). وبمثله قال ابن دريد. ينظر: الجمهرة (أ و ل).

(٤) ينظر: اللسان (أ و ل).

الثاني: فرَّق بين اللفظين، وبيَّن أن لكل لفظ منهما معناه الذي يستقل به عن غيره، ولا يمكن أن يستعمل أحد اللفظين مكان الأخر، وهذا هو ما أيَّده الأزهري، ونصَّ على أنه رأى العرب في البادية على ذلك.

قال كراع:" والآل: السَّرابُ، وهذا الغالب على النَّاس والجاري على ألسنتهم، وإنما الآل: الذي يكون ضُحىً يرفعُ الشُّخوصَ. والسَّرابُ: الذي يكون نِصْفَ النهار كأنه ماءٌ جارٍ"(١). **وقال الجوهري:**" والآلُ: الشخصُ. والآلُ: الذي ترآه في أَوَّلِ النهار وآخرهِ كأنّه يرفع الشخوص، وليس هو السراب"(٢).

وقال أبو هلال العسكري:" الآل هو الشخص الذى يظهر لك من بعيد، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحاري، وهو غير السراب وإنما السراب سبخة تطلع عليها الشمس فتبرق كأنها ماء، والآل شخوص ترتفع في الصحاري للناظر وليست بشيء"(٣).

مما سبق يتضح أن

١- العلماء لم تتحد كلمتهم على التفريق بين لفظي الآل والسراب.

٢- اللفظين من حقل دلالي واحد هو: الشيء يُرَى من بعيد على غير حقيقته.

٣- كثير من العلماء يرى بالتفريق بين اللفظين، وهذا هو الذي رجَّحه الأزهري، وذكر أنه رأى العرب على ذلك، وهذا ما أميل إليه.

والتفريق بين اللفظين يكون من ثلاث جهات، هي:

الأولى الزمان: فالآلُ: يكونُ من وقت الضُّحَى إلى زوالِ الشمسِ، أما السَّرابُ فيكونُ من نِصفَ النهارِ، وقيل: من بعدَ الزوالِ إلى صَلَاةِ الْعَصْرِ.

(١) المنجد في اللغة ص١٠٩. وينظر له أيضًا: المنتخب من كلام العرب ص٣٧٤.

(٢) الصحاح (أ و ل).

(٣) الفروق اللغوية ص٧.

ولعل الدلالة المحورية لكلى الجذرين تؤيد ذلك، **قال ابن فارس:**" الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ وَانْتِهَاؤُهُ"(١). فإذا كان الجذر يدور حول ابتداء الأمر فأنسب له أن يكون في أول النهار وقت الضحى، بخلاف السراب الذي تدور دلالته المحورية حول" الِاتِّسَاعِ وَالذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ"(٢). وهذا الاتساع وهذا الذهاب يناسبه من وسط النهار إلى أخره.

الثانية الصفة: فالآل يَرفَعُ الشُّخُوصَ– والشَّخْصُ: ما ارتفع لك من الأجسام فأبصرته– ويَزْهَاهَا. وأما السَّرَاب فيكون لاطِئاً بالأَرضِ لَاصِقًا بِهَا.

الثالثة الهيئة: فالآل يكون كالمَلا بينَ السماءِ والأَرض، أما السراب فيكون كأَنه ماءٌ يجري على وجه الأرض.

٢- (ح س ي) الحِسْي

قال الأزهري:" والحِسْيُ الرَّمْل المتراكم، أَسْفَله جبلٌ أصلدُ، فَإِذا مُطِرَ الرمل نَشِفَ مَاءُ الْمَطَر، فَإِذا انْتهى إِلَى الْجَبَل الَّذِي أسفَلُه أمسكَ المَاءَ، وَمنع الرَّملُ حرَّ الشَّمْس أَن ينشف المَاء، فَإِذا اشْتَدَّ الْحر نُبِثَ وجْهُ الرمل عَن المَاء فنبَعَ بَارِدًا عذباً يتَبَرَّضُ تبرُّضاً وَقد رَأَيْت فِي الْبَادِيَة أحْسَاءَ كَثِيرَة على هَذِه الصفَة مِنْهَا: أحْساء بَنِي سَعْدٍ بحذاء هَجَرَ وقُرآها وَهِي اليومَ دارُ القَرَامِطَةِ، وَبهَا مَنَازِلُهم وَمِنْهَا أَحْسَاءُ خِرْشَافِ وأَحْسَاءُ القَطِيف. وبحذاء حاجِرٍ فِي طَرِيق مَكَّة أَحْساءٌ فِي وادٍ مُتَطَامِن ذِي رَمْلٍ إِذا رَوِيَتْ فِي الشتَاء من السُّيُول الْكَثِيرَة لم يَنْقَطِع ماءُ أحْسائها فِي القَيْظ"(٣).

رأى الأزهري في البادية أحساء كثيرة، والأحساء جمع حِسْي، وقد وصفها وصفًا شافيًا كشف فيه عن غموضها، ولم يكن الأزهري أول من ذكرها ولا أول

(١) المقاييس (أ و ل).
(٢) السابق (س ر ب).
(٣) التهذيب (ح س ي).

من وصفها، فقد سبقه غير واحد من العلماء. **قال الخليل:**" الحِسْيُ: موضعٌ سهْلٌ يَسْتَنْقِعُ فيه الماء، ولا يلبث أن يْنْضَبَ، وجمُعُه: أحساء. وربَّما حفر فنَبَعَ الماءُ بالقُرْبِ منه. تقول: احتسينا حِسْياً أي: احتفرناه"(١). **وقال البندنيجي:**" والحِسْيُ: الماء المستخرج من الرمل وجمعه أحساء"(٢). **وقال ابن دريد:**" والأحساء: جمع حِسْي، والحِسْي: غِلَظ من الأَرْض فَوْقه رمل يجْتَمع فِيهِ مَاء السَّمَاء فَكلما نزحتَ مِنْهُ دلواً جمَّت أُخْرَى"(٣).

ووصفه بعده عدد كبير من العلماء. **قال الجوهري:**" والحِسى بالكسر ما تَنَشَّفُه الأرضُ من الرمل، فإذا صار إلى صلابةٍ أمسكَتْه فتحفِر عنه الرملَ فتستخرجه. وهو الاحتساء"(٤). **وقال ابن الأثير:**" الحِسْيُ بِالْكَسْرِ وَسُكُونِ السِّينِ... حَفِيرة قَرِيبَةُ القَعْر، قِيلَ: إِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلاَّ فِي أرضٍ أَسْفَلُها حِجَارَةٌ وفَوْقَها رمْل، فَإِذَا أَمْطَرت نَشَّفَها الرمْلُ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى الْحِجَارَةِ أَمْسَكَتْه"(٥).

فكل هؤلاء العلماء وصفوا اللفظ، إلا أنك تجد في عبارات بعضهم ما يدعوا إلى الاحتمال والظن نحو (وقيل، وربما)، أما ما ذكره الأزهري فتتضح فيه القوة والثبات في الرأي، يضاف إلى ذلك أنه بيَّن حقيقة اللفظ بشرحه وتفصيله بصورة واضحة لم يذكرها أحد ممن جاء قبله، ولا من جاء بعده إلا من نقله عنه، فقد نصَّ على رؤيته لعدد غير قليل منها.

(١) العين (ح س ي). وينظر: المحكم (ح س ي).
(٢) التقفية ص٦٨٩ .
(٣) الجمهرة (ح س ي).
(٤) الصحاح (ح س ا). وينظر: اللسان (ح س ي)، والتاج (ح س ي).
(٥) النهاية (ح س ي).

٣- (د ح ل) الدَّحْل

قال الأزهري:" وَقد رأيتُ بالخَلْصاء ونَواحي الدَّهْناء دُحْلاَناً كَثِيرَة، وَقد دَخَلْتُ غَيرَ دَحْلٍ مِنْهَا، وَهِي خلائقُ خلقَها الله تَحت الأَرْض يَذهَب الدَّحْلُ مِنْهَا سَكًّا فِي الأَرْض قامةً أَو قامتيْن أَو أكثرَ من ذَلِك، ثمَّ يتَلَجَّفُ يَمِيناً أَو شِمَالاً، فمرَّةً يضيقُ ومَرَّةً يتَّسِع فِي صَفَاةٍ مَلساء لَا تَحيكُ فِيهَا المَعَاوِل المُحدَّدة لصلابتِها، وَقد دخلْتُ مِنْهَا دَحْلاً، فلَمَّا انتهيتُ إِلَى المَاء إِذا جَوٌّ من المَاء الراكد فِيهِ لم أَقف على سَعَته وعُمْقِه وكثرتِه لإظلام الدَّحْلِ تَحت الأَرْض، فاستقَيْتُ أَنَا مَعَ أُصَيْحَابي من مَائِهِ وَإِذا هُوَ عَذْبٌ زُلالٌ، لِأَنَّهُ مَاءُ السَّمَاء يَسِيلُ إليهِ من فَوق ويَجْتَمِعُ فِيهِ. وَأَخْبرنِي جماعةٌ من الْأَعْرَاب أَن دُحْلاَن الخلْصَاء لَا تَخْلُو من المَاء وَلَا يُسْتَقى مِنْهَا إِلَّا لِلشَّفَةِ وللخَيْل لتَعَذُّر الاستقَاءِ مِنْهَا وبُعْدِ المَاء فِيهَا من فُوهَةِ الدَّحْلِ"(١).

في النص السابق ذكر الأزهري أنه رأى بالخلصاء ونواحي الدهناء دُحُلانًا كثيرة، والدُّحْلان جمع الدَّحَل أو الدُّحْل، وهو كما **ذكر أبو عبيد:**" هُوَّة تكون فِي الأَرْض وَفِي أسافل الأودية فِيهَا ضيق ثمَّ يَتَّسِع، قَالَهَا الْأَصْمَعِي"(٢).

وقال ابن سيده:" الدَّحْلُ والدُّحْلُ، الْأَخِيرَة عَن الهَجَرِي، نَقْب ضيّق فَمُه ثُمَّ يَتَّسِعُ أَسفله حَتَّى يُمْشَى فِيهِ، وَرُبَّمَا أَنبت السِّدْر، وَقِيلَ: هُوَ مَدْخَل تَحْتَ الجُرُف أَو فِي عُرْض خَشَب الْبِئْرِ فِي أَسفلها وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ المَوارد والمَناهل، وَالْجَمْعُ أَدْحُل وأَدْحَالٌ ودِحَال ودُحُول ودُحْلانٌ. وَقَدْ دَحَلْت فِيهِ أَدْحَلُ أَي دَخَلت فِي الدَّحْل؛ ورُبَّ بيتٍ مِنْ بُيُوتِ الأَعراب يُجْعَلُ لَهُ دَحْل تَدْخُلُ فِيهِ المرأَة إِذا دَخَل عَلَيْهِمْ دَاخِلٌ "(٣).

(١) التهذيب (د ح ل).
(٢) غريب الحديث (د ح ل). وينظر: الصحاح (د ح ل).
(٣) المحكم (د ح ل).

والأزهري لم ينص على أنه رأى هذا الدَّحْل في البادية، وإنما خصَّص المكان الذي رآه فيه بأنه بالخلصاء ونواحي الدهناء.

والخلصاء" أرض بالبادية فيها عين ماء"(١). **وجاء في اللسان** "والخَلْصاءُ: ماءٌ بِالْبَادِيَةِ ... وَقِيلَ مَوْضِعٌ فِيهِ عَيْنُ مَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَوْضِعٌ بِالدَّهْنَاءِ مَعْرُوفٌ"(٢)، **وقال الأزهري:**"والدَّهْنَاءُ من ديارِ بني تَميم، مَعْرُوفَة... وَهِي سَبْعَة أَجْبُل فِي عُرْضها بَين كلِّ جَبَلَيْن شَقِيقَةٌ، وطولُها من حَزْن يَنْسوعَةَ إِلَى رَمْل يَبْرِينَ، وَهِي من أَكثر بِلَاد الله كلأً مَعَ قلّة أَعْدادِ الْمِيَاه، وَإِذا أَخْصَبت الدَّهْناء رَبَّعَت العَرب جَمْعاء لِسَعيها وَكَثْرَة شَجَرها، وَهِي عَذاةٌ مكرُمَة نَزِهَةٌ، مَنْ سَكنها لم يَعرِف الحُمَّى لِطيب تُرْبَتها وهوائِها"(٣).

وعلى هذا فإن هذه الدُّحُول أو الدُّحْلان رآها في البادية، ولكن بدل أن ينص على لفظ البادية عمومًا حدَّد المكان الذي رآها فيه، وهو أيضًا من البادية.

وهذه الأوصاف التي ذكرها الأزهري للدَّحْل لم أجدها في كُتُب المتقدمين عليه، ولا في كتب المتأخرين إلا من نقلها عنه، وهنا تظهر قيمة الأزهري العلمية وقيمة كتابه (تهذيب اللغة)، وأيضًا ما يشيعه نصِّه على الرؤية العينية، من ثقة وارتياح في النفس، فمن شاهد وعاين ليس كمن سمع، فقد ذكر:

- أنها من الخلائق التي خلقَها الله تَحت الأَرْض، فليست من صنع الإنسان.
- وأن ارتفاعها قامةً أَو قامتيْن أَو أكثرَ من ذَلِك.

(١) الصحاح (خ ل ص).

(٢) اللسان (خ ل ص).

(٣) التهذيب (د هـ ن). وينظر: مراصد الاطلاع لابن شمائل القطيفي ٥٤٦/٢.

- وأنه ليس له اتجاه ثابت يتَلَجَّفُ يَمِيناً أَو شِمَالاً، فمرَّةً يضيقُ ومَرَّةً يتَّسِع(١).
- وأن صخوره صَفَاةٌ مَلساء لَا تَحيكُ فِيهَا المَعَاوِل المُحدَّدة؛ لصلابتِها.
- وأنها تكون شديدة الظلام حتى أن الداخل فيها يصعب عليه الرؤية، حتى أنه لم يستطع وصف الماء الذي وجده فيها.
- وأن ماءها عَذْبٌ زُلالٌ؛ لِأَنَّهُ من مَاءِ السَّمَاء يَسِيلُ إليهِ من فَوق ويَجْتَمِعُ فِيهِ، وقد شرب منه هو وأصحابه.

وقد أضاف هنا مصدرًا أخر من مصادره في(تهذيب اللغة) وهو الإخبار عن الأعراب الثقات، فقد أخبروه بأَن دُحْلاَن الخلْصَاء لَا تَخْلُو من المَاء ولا يجف ماؤها، ومع ذلك فالانتفاع بمائها محدود، فهي لَا يُسْتَقى مِنْهَا إِلَّا لِلشَّفَةِ وللخَيْل؛ لتَعَذُّر الاستقَاءِ مِنْهَا، وبُعْدِ المَاء فِيهَا من فُوهَةِ الدَّحْلِ.

٤- (ق ن ر) قَنُّور

قال الأزهري:"وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَة مَلَّاحَةً تُدْعَى قَنُّور بِوَزْن سَفُّود، ومِلْحُهَا من أَجوَدِ الْمِلْحِ"(٢).

نصَّ الأزهري على أنه رأى في البادية ملَّاحَةً –والمَلَّاحَةُ: مَنْبِتُ المِلْح(٣)– تسمى قَنُّور ونَعَتَ هذه الملاحة بأن ملحها من أجود الملح.

(١) والتَّلَجُّف: التحفُّر فِي نَوَاحِي الْبِئْرِ، وتَلَجَّفَت البئر: إذا حفر الماءُ حروفها حتى اتسع أسفلُها. ولعل السبب في هذا التَّلَجُّفِ أن الذي يقوم بالحفر هو الماء نفسه، فالماء يذهب لِيَمُرَّ من أضعف مكان في الصخور، فكلما كانت الصخور صُلبة ولا تسمح للماء بالمرور تحول إلى مكان أخر أيسر وأسهل، فيأتي مرة يمينًا ومرة شمالًا، يتسع الدَّحْل مرَّة ويضيق مرَّةً على حسب قوَّة الصخور التي يمر فيها.

(٢) التهذيب (ق ن ر).

(٣) ينظر: العين (م ل ح).

وهذا الذي ذكره الأزهري لم أجده عند أحد ممن سبقه من العلماء –فيما اطلعت عليه– لكن هناك من أصحاب المعاجم ممن جاء بعده ذكر هذه الملاحة لكن نقلًا عن الأزهري(١).

والدلالة المحورية لمادة (ق ن ر) تدول حول الشِّدَّة والضخامة والغلظة من كل شيء(٢)، يقال: القَنَوَّرُ: الشديدُ الضَّخْمُ الرأْس مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وكلُّ فَظٍّ غليظٍ: قَنَوّرٌ. والقَنَوَّر: السَّيِّئُ الخُلُق، وَقِيلَ: الشَّرِسُ الصَّعْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وبَعِيرٌ قَنَوَّر: شَرِسٌ صَعَبٌ(٣).

ولعل هذا هو السبب في تسميتها بهذا الاسم، لأن مِلْحَها فيه من الشِّدة والغلظة ما ليس في غيرها، من تسمية الشيء بصفة بارزة فيه.

٥- (ل ع ع) لَعْلَع

قال الأزهري:" ولَعلَعٌ: مَاءٌ فِي الْبَادِيَة مَعْرُوفٌ، وَقد وَرَدتُه"(٤).

ذكر الأزهري أن في البادية ماءً معروفًا اسمه (لَعْلَع)، لكنه لم ينص على رؤيته له لفظًا –كعادته– إنما نصَّ على ما يفيد هذه الرؤية وهو أنه قد ورده، ومعنى أنه ورده فقد أتاه وإذا أتاه فقد رآه، فالوُرُودُ: ورود الماء وإتيانه(٥)، وكُلُّ مَا أَتَيْتَهُ فقد وَرَدْتَهُ"(٦).

(١) ينظر: اللسان (ق ن ر). وينظر: التاج (ق ن ر).
(٢) ينظر مادة (ق ن ر) في: الصحاح، والمقاييس، والمحكم.
(٣) ينظر: اللسان (ق ن ر).
(٤) التهذيب (ل ع ع).
(٥) ينظر: التقفية للبندنيجي ٣٢٣، وديوان الأدب للفارابي ٣/٢١٥٠.
(٦) ينظر: اللسان (و ر د).

وإذا كان الأزهري قد جزم بأن (لعلع) اسم ماء، فإن هناك من العلماء من قال بخلاف ذلك. **قال الخليل:**" ولَعْلَعٌ: مَوضِع قال:[١]

فَصَدَّهُم عن لَعْلَعٍ وبـارِقٍ ضَرْبٌ يُشَظِّيهِمْ على الخَنادِقِ"[٢].

و**قال الجوهري:**" ولعلع: جبل كانت به وقعة. قال الشاعر:[٣]

لَقَدْ ذاقَ مِنَّا عامِرٌ يَوْمَ لَعْلَعٍ حُسامًا إِذا مَا هُزَّ بالكَفِّ صَمَّمَا"[٤].

وذكر الزبيدي كل ما سبق فقال:" ولَعْلَعٌ، بِلَا لامٍ: جَبَلٌ كانَتْ بهِ وَقْعَةٌ، كَمَا فِي الصِّحاحِ والأساسِ ... قالَ ابنُ الأثِيرِ: هُوَ جَبَلٌ، وأَنَّثَهُ لأنَّه جَعَلَهُ اسْماً لِلْبُقْعَةِ الّتِي حَوْلَ الجَبَلِ ... وقيلَ: لَعْلَعٌ: موضع بَيْنَ البَصْرَةِ والكُوفَةِ. وقالَ الأزْهَرِيُّ: لَعْلَعٌ ماءٌ بالبادِيَةِ وقدْ وَرَدْتُه"[٥].

<u>والذي يبدو لي</u> أنه لا خلاف في ذلك سواء كان (لعلع) اسم جبل أو اسم مكان عنده موقعة أو اسم ماء، فهذا كله محتمل وليس هناك تعارض بينهم.

بأن يكون هناك في مكان ما بئرٌ فيه ماء لوحظ فيه صفة معينة فأُطلق عليه اسم (لعلع)، وبما أن هذا البئر في الصحراء أو في البادية –على حد تعبير الأزهري– فمن الطبيعي أن يكون في هذا المكان جبالٌ، أو جبلٌ مجاورٌ لهذا البئر، فسُمِّي المكان الذي فيه البئر باسمه بداية، ثم سمي الجبل باسم البئر، من تسمية الشيء بمجاوره.

---

(١) البيت من الرجز، بلا نسبة في اللسان (ل ع ع)، والتاج (ل ع ع). ويُشَظِّيهِمْ: أي يُفَرِّقُهم ويَشُقُّ جَمْعَهُم.

(٢) العين(ل ع)، وينظر: ديوان الأدب ١٠١/٣، والجمهرة(ل ع ل ع)، والمحكم(ل ع ع).

(٣) البيت من الطويل، لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه ص٣١.

(٤) الصحاح (ل ع ع).

(٥) التاج (ل ع ع).

وأيضًا في حياة العرب التي امتلأت بالحروب–لأتفه الأسباب– من الطبيعي أن يحدث في هذا المكان موقعة أو معركة بين قبيلتين، فيسمى الموضع باسم البئر لمجاورتها له، كما حدث في موقعة (بدر) الشهيرة.

وعليه: فالاختلاف السابق لا يعدو أن يكون اختلافًا في وجهة نظر المُسَمِّي فقط، فقد نظر كُلٌّ واحد إلى شيء معين فقال به. وإن كنت أرجح ما قاله الأزهري، لأمرين هما:

الأول: أنه نصَّ على أنه ورد هذا الماء، فقد رآه رؤية بصرية، ومعها فلا مجال للشك أو الاحتمال، **وإن كنت أرى أن** الأزهري نصَّ –هنا– على وروده هذا الماء ليثبت يقينًا أن هذا الاسم علم على ماء معروف في البادية، وليس اسمًا لأي شيء أخر، أو على أقل تقدير أن هذا الماء هو أصل التسمية وإليه ترجع تسمية غيره.

الثاني: أن كلام الأزهري يتفق والدلالة المحورية. **قال ابن فارس:**" اللَّامُ وَالْعَيْنُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ وَبَصْبَصَةٍ. مِنْ ذَلِكَ اللَّعْلَعُ: السَّرَابُ؛ وَلَعْلَعَتُهُ: بَصْبَصَتُهُ. وَتَلَعْلَعَ الشَّيْءُ: اضْطَرَبَ حَتَّى تَكَسَّرَ "[1]، فإذا كانت دلالة الجذر تدور حول اضطراب وبصبصة فهي بالماء أولى وأجدر وأوضح.

(١) المقاييس (ل عّ).

٦- (م و ا) مَاوِيَّة

قال الأزهري:" وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَة على جادَّةِ البَصْرة مَنْهلة بَين حَفَر أبي مُوسَى ويَنْسوعةَ، يُقَال لَهَا: مَاوِيَّة"(١).

ذكر الأزهري أنه رأى في البادية على طريق البصرة مَنْهَلَةً، والمَنْهَلُ: المورد. **قال الجوهري:**" المَنْهَلُ: المَوْرِدُ، وهو عينُ ماءٍ تَرِدُهُ الإبلُ في المراعي، وتسمَّى المنازل التي في المفاوز على طُرُقِ السُفَّارِ مناهِلَ؛ لأنَّ فيها ماءً"(٢).

حدد الأزهري مكان هذه المَنْهلَة بأنها بين حَفَرِ –بفتحتين– أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– وينسوعة، "والحَفَرُ: اسْمُ الْمَكَانِ الَّذِي حُفِر كَخَنْدَقٍ أَو بِئْرٍ"(٣).

واليَنْسُوعَةُ كما **ذكر الزبيدي:**" موضع بَيْنَ مَكَّةَ والبَصْرَةِ، والياءُ وَالْوَاو زائِدَتانِ؛ لأنَّهَا من النَّسْعِ، وقالَ الأَزْهَرِيُّ: يَنْسُوعَةُ القُفِّ: مَنْهَلٌ منْ مَناهِلِ طَرِيقِ مَكَّةَ على جادَّةِ البَصْرَةِ، بِهَا رَكَايا كَثيرَةٌ عَذْبَةُ الماءِ، عنْدَ مُنْقَطعِ رِمَالِ الدَّهْنَاءِ بينَ ماوِيَّةَ والنِّبَاجِ، قالَ: وقَدْ شَرِبْتُ منْ مائِهَا"(٤).

وأوضح الأزهري أن هذه المَنْهَلَة يقال لها مَاوِيَّة، وهذا الاسم على الأصل في تسمية الماء، **قال ابن فارس:**" الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ يَتَفَرَّعُ كَلِمُهُ، وَهِيَ الْمَوَهُ: أَصْلُ بِنَاءِ الْمَاءِ، وَتَصْغِيرُهُ مُوَيْهٌ؛ قَالُوا: وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي الْمَاءِ بَدَلٌ مِنْ هَاءٍ"(٥).

---

(١) التهذيب (م و ا).
(٢) الصحاح (ن هـ ل).
(٣) اللسان (ح ف ر). وينظر: المصباح (ح ف ر).
(٤) التاج (ن س ع).
(٥) المقاييس (م و هـ).

وذكر غير واحد من العلماء[١]هذه المَنْهَلة، **قال البكري:**" مَاوِيَّة ... وهو ماء ببطن فلج، على ست مراحل من البصرة. وقال أبو حاتم: نُسِبَ هذا المنزل إلى مَاوِيَّة بنت مُرٍّ، أخت تميم بن مُرٍّ"[٢]. **وقال ياقوت:**" وقال السكوني: مَاوِيّة من أعذب مياه العرب ... وقال محمد بن أبي عبيدة المهلبي: البئر التي بالمَاوِيّة بئر عادية لا يقل ماؤها ولو وردها جميع أهل الأرض"[٣].

٧- (و ش ل) الوَشَل

قال الأزهري:" **وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَة جَبَلاً يقطر فِي لِجَفٍ مِنْهُ من سَقفِه مَاء، فيجتمع فِي أَسْفَله، وَيُقَال لَهُ الوَشَل**"[٤].

كانت عين الأزهري تلتقط وتصور كل ما تقع عليه من الأشياء التي توجد في البادية، فلم يقف عند حد معيَّن أو شيء دون أخر، بل سجَّل كل ما رآه وما سمعه، وكان من جملة ما رآه جبلًا يقطر من سقفه ماء، هذا الماء يجتمع في أسفل الجبل، يقال لهذا الماء: الوَشَل. والوَشَل" الماء القليل يَتَجلَّبُ من صخرةٍ أو جبل يقطر منه قليلاً قليلاً"[٥].

وقال ابن سيده:" الْوَشَلُ الماءُ الْقليلُ يَتَحَلَّبُ من جَبَلٍ أو صَخْرَةٍ يَقْطُرُ منه قَلِيلاً قليلاً لا يَتَّصِلُ قَطْرُه. وقيل: لا يكون ذلك إلا من أَعْلى الْجَبَلِ. وقيل: هو ماءٌ يَخْرُجُ من بين الصُّخُورِ قليلاً قليلاً. والجمع أَوْشَالٌ"[٦].

---

(١) نقلوه عن الأزهري، ينظر: اللسان والتاج مادة (م و هـ).

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١١٧٨/٤.

(٣) معجم البلدان ٤٨/٥.

(٤) التهذيب (و ش ل). واللِّحْفُ، بالكسرِ: أصْلُ الجَبَلِ.

(٥) العين (و ش ل).

(٦) المحكم (و ش ل).

وذكر **ابن فارس** الدلالة المحورية للجذر(و ش ل) فقال:" الْوَاوُ وَالشِّينُ وَاللَّامُ، يَدُلُّ عَلَى سَيَلَانِ مَاءٍ قَلِيلٍ"(١).

ومن العلماء من ذكر أن (الوَشَل) الماء الكثير، وعليه فاللفظ من الأضداد، **جاء في اللسان:**"وقدْ قِيلَ: الْوشَلُ الماءُ الكَثِيرُ، فهو على هذا من الأَضْدادِ"(٢).

والذي عليه أكثر العلماء أن اللفظ يدل أصالة على القطر القليل المتفرق غير المتصل، وهذا المعنى موجود في أشعار العرب. **قال لبيد بن ربيعة:**

وَعَـلَاهُ زَبَـدُ المَحْضِ كَمَـا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ الصَّفَا مَاءُ الوَشَلِ(٣)

وكذلك موجود في أمثالهم، **قال أبو هلال العسكري:**" قَوْلهم هَل بِرَمْلِكُم وَشَلٌ، يُضْرَبُ مثلًا للأحمق الَّذِي لَا يعرف وُجُوه الْأُمُور، وَذَلِكَ أَن الوَشَل لَا يكون فِي الرمل (لأنه لا يثبت فيه، ولا يحتفظ به) وَإِنَّمَا هُوَ مَاء قليلٌ ينحدر من الْجَبَل كَذَا قَالَ أَكثر أهل اللُّغَة"(٤).

وهذا المعنى–فيما يبدو لي–هو الأولى بدلالة اللفظ؛ لما تدل عليه أصواته، فوجود صوت الشين في اللفظ يرجح كون المعنى الأول (القطر القليل المتفرق)، لما يحمله صوت الشين من صفات.

وهنا تظهر القيمة التعبيرية للصوت وأثرها في الدلالة، وهذه القيمة هي التي تقوم عليها التفرقة بين معاني الكلمات، وهي تمثل" جزءًا من الدلالة الكُلِّيَّة

(١) المقاييس (و ش ل).

(٢) المحكم (و ش ل). وينظر: التاج (و ش ل).

(٣) البيت من الرمل، في ديوانه ص١٢٩.

(٤) جمهر الأمثال٣٦٨/٢. وقيل:" يضرب عند قلة الخير، وللشيء لاَ يوثق به، وللبخيل لاَ يَجُودُ بشيء". مجمع الأمثال للميداني ٣٨٣/٢.

للكلمة، بمعنى أن هناك علاقةً بين الصوت ومعناه، يترتب عليها وجود المناسبة بين اللفظ ومدلوله"[١].

قال ابن جني:" فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحَبْل قبل استحكام العقد"[٢]، فعبر بالشين عن الحبل حال انتشاره وتفرُّقه.

وبيَّن **د/جبل** أن سبب تفشيها وهو" انتشار هوائها على دائرة مُقَدَّم اللسان"[٣]، فكان اختيار الصوت مناسبًا لما دَلَّ عليه من معنى. وقال **د/الموافي البيلي:**" فإذا قالو مثلًا إن الشين تعبر عن التفشي والانتشار، تحققت هذه القيمة في معنى كل كلمة احتوت على صوت الشين"[٤].

مما سبق يتضح أن

١- الأزهري يبني على كلام ما قبله ما لم ير ما يخالفه، فلم يذكر تعريفًا (للوَشَل) مكتفيًا بما قاله الخليل؛ حيث إن ما ذكره الخليل متفق مع ما رآه الأزهري في البادية.

٢- حكمة العرب في اختيار الألفاظ إزاء المعاني، فوضعوا لكل معنى ما يتناسب معه من الأصوات. حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[٥].

(١) تحديد معانٍ لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة د/ الموافي البيلي ص٣. وينظر: من قضايا فقه اللسان د/ الموافي البيلي ص ٣-٤.

(٢) الخصائص ٢/١٦٥.

(٣) أصوات اللغة العربية ص١٨٩.

(٤) من قضايا فقه اللسان، ص٣.

(٥) الخصائص ٢/١٥٩-١٦٠.وينظر: دراسات في فقه اللغة د/صبحي الصالح ص١٤٣.

المبحث الثالث: ما رآه الأزهري في البادية من صُنْع أهلها

١ـ (ث ب ر) الثَّبْرَة

قال الأزهري:" **أَبُو عُبيد، عَن الأصمعيُّ: الثَّبْرَةُ: حُفْرة. قلت: ورأيتُ فِي الْبَادِيَة رَكيَّةً غيرَ مَطْوِيَّةٍ يُقَال لَهَا: ثَبْرةٌ، وَكَانَت وَاسِعَةً كثِيرةَ المَاءِ**"(١).

نقل الازهري ما قاله أبو عبيد عن الأصمعي من الثَّبْرَة: حفرة. ثم أكَّدَ هذا الكلام بأن ذكر أنه رأى في البادية ركِيَّة غير مطوية(٢)، وذكر من صفاتها أنها كانت واسعة وكثيرة الماء.

والثَّبْرَةُ بمعنى الحفرة أو النُّقْرة في الشيء قاله كثير من العلماء. **قال ابن قتيبة:**" والثَّبْرَةُ: النُّقْرَةُ فِي الشَّيْء والهَزْمَةُ. وَمِنْه قيل للنُّقْرَةِ فِي الْجَبَل يكون فِيهَا مَاء الْمَطَر"(٣). **وقال الجوهري:**" والثَّبْرَةُ أيضا: حفرة من الأرض"(٤).

وجاء في اللسان" والثَّبْرَةُ: الْحُفْرَةُ فِي الأَرض. والثَّبْرَةُ: النُّقْرَةُ تَكُونُ فِي الْجَبَلِ تُمْسِكُ الْمَاءَ يَصْفُو فِيهَا كالصِّهْرِيجِ، إِذا دَخَلَهَا الْمَاءُ خَرَجَ فِيهَا عَنْ غُثائه وَصَفَا؛ قَالَ أَبو ذُؤَيْبٍ:

فَثَجَّ بِهَا ثَبَراتِ الرَّصافِ حَتَّى تَزَيَّلَ رَنْقُ الكَدَرْ(٥)

أَراد بِالثَّبَرَاتِ نِقَارًا يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ مِنَ السماءِ فَيَصْفُو فِيهَا. التَّهْذِيبُ: والثَّبْرَةُ النُّقْرَةُ فِي الشَّيْءِ والهَزْمَةُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلنُّقْرَةِ فِي الْجَبَلِ يَكُونُ فِيهَا الْمَاءُ: ثَبْرَةٌ"(٦).

---

(١) التهذيب (ث ب ر).

(٢) والركية: هي البئر التي تُحْفَر. البِئْر المَطْوِيَّةِ: وهي التي ضُرِّسَت–أي بُنِيَت– بالحِجارَة وأُحكِمَت لئَلَّا تَنْهارَ. ينظر: المجموع المغيث لأبي موسى المديني (ط و ى) ٢/٣٧٥.

(٣) غريب الحديث٢/٤٢٤.وينظر:الغريبين١/٢٧١، وغريب الحديث لابن الجوزي١/١١٨.

(٤) الصحاح (ث ب ر).

(٥) البيت من المتقارب، لأبي ذؤيب الهذلي، في شرح أشعار الهذليين ص ١١٦.

(٦) اللسان (ث ب ر).

والـذي يبـدو أن الرَّكِيَّـة (البئـر أو الحفرة) التـي رآهـا الأزهري فـي البادية سميت بـ (الثَّبْرة) تشبيها لها بالثَّبْرَةِ: التي هي النُّقْرَةُ التي تَكُونُ فِي الْجَبَلِ تُمْسِكُ الْمَاءَ يَصْفُو فِيهَا كالصِّهْرِيجِ.

وما رآه الأزهري نقله عنه **ابن منظور والزبيدي**، ولكن بعبارة تختلف عمَّا قالـه الأزهري، فاللفظ عندهم (البَثْرَة)، **فجـاء فـي اللسـان**" وَالْمَعْرُوفُ فِي البَثْرِ: الكثيرُ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هَذَا شَيْءٌ كثيرٌ بَثِيرٌ بَذيرٌ وبَجيرٌ أَيضاً. الأَصمعي: البَثْرَة الحُفْرَةُ. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: ورأَيت فِي الْبَادِيَةِ رَكِيَّةً غَيْرَ مَطْوِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا بَثْرَةُ، وَكَانَتْ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَاءِ"[(١)].

فهل البئر الذي رآه الأزهري هو(الثَّبْرة) بتقديم الثاء، أم هو (البَثْرة) بتقديم الباء؟

الذي يبدو لـي أن ما ورد في التهذيب هو الصواب، وأن ما نقله صاحِبا اللسان والتاج من قبيل التصحيف، وذلك لعدة أمور، هي:

١- ورود النَّص علـى اللفـظ صـراحة فـي التهـذيب دون وجـودٍ لأي نـوع مـن الاحتمال أو التخميين.

٢- جُلُّ العلمـاء علـى أن مـن دلالـة لفـظ (الثَّبْرة) الحفرة أو البئـر، **قـال كـراع:**" والثَّبْرَةُ: الحفرة ومنـه اشتق للموضـع الذي تَلِد فيه المرأة فقيل: المَثْبِرُ؛ مَفْعِلٌ منه"[(٢)]. وليس هذا في لفظ (البَثْرَة).

٣- الدلالة المحورية للجذر (ث ب ر) تدل على كون الثَّبْرة اسم للبئر، حيث إنه يـدل علـى ثلاثـة أصـول" الْأَوَّلُ السُّـهُولَةُ، وَالثَّـانِي الْهَـلَاكُ، وَالثَّـالِثُ الْمُوَاظَبَـةُ عَلَى الشَّيْءِ. فَالْأَرْضُ السَّهْلَةُ هِيَ الثَّبْرَةُ"[(٣)]، والأرض السهلة هي التي يمكن

(١) اللسان (ب ث ر). وبمثله قال الزبيدي. ينظر: التاج (ب ث ر).

(٢) المنتخب من كلام العرب ص٤٤١.

(٣) المقاييس (ث ب ر).

كذلك الحفر فيها، بخلاف غيرها. أما الجذر (ب ث ر) فهو "أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ انْقِطَاعُ الشَّيْءِ مَعَ دَوَامٍ وَسُهُولَةٍ وَكَثْرَةٍ"(١).

٢- (ث ر م د) ثرمداء

قال الأزهري:" وثَرْمَدَاء: ماءٌ لِبَنـي سَعْد فِي وَادي السِّتَارَيْن، قد وَرَدْتُه، يُسْتَقى مِنْهُ بالعِقال لقُرْب قَعْره"(٢).

ذكر الأزهري أنه ورد ماءً اسمه (ثرمداء)، لكنه لم ينص على رؤيته له لفظًا-كعادته- إنما نصَّ على ما يفيد هذه الرؤية وهو أنه قد ورده، ومعنى أنه ورده فقد أتاه، وإذا أتاه فقد رآه، فالوُرُودُ: ورود الماء وإتيانه(٣). وأَوْرَدْتُهُ الماءَ جعلتُه يَرِدُه(٤)، وكُلُّ مَا أَتَيْتَهُ فقد وَرَدْتَهُ"(٥).

وبيَّن الأزهري أن (ثرمداء)اسم ماء لبني سعد -وهم من سكَّان البادية- في وادي السِّتَارَيْن، وبيَّن أن هذا الماء من صفته أنه يستقى منه بالعقال؛ لقرب قعره، وما قاله الأزهري لم يخالفه فيه أحد من العلماء، بل نقله عنه أكثرهم.

قال ياقوت الحموي:" ثَرْمَدَاءُ: قال الأزهري: ماء لبني سعد في وادي الستارين، وقد وردته، يستقى منه بالعقال لقرب قعره"(٦).

وقال ابن شمائل القطيعي:" ثرمداء: ماء لبنى سعد، في وادى الستارين. وقيل بكسر الميم: بلد. وقيل: قرية بالوشم من اليمامة، ويروى بكسر الثاء"(٧).

---

(١) السابق (ب ث ر).

(٢) التهذيب (ث ر م د).

(٣) ينظر: التقفية للبندنيجي ٣٢٣، وديوان الأدب للفارابي ٢١٥٠/٣.

(٤) ينظر: المخصص (باب وُرُود المَاء والمَصْدَر عَنهُ).

(٥) ينظر: اللسان (و ر د).

(٦) معجم البلدان ٧٦/٢.

(٧) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٢٩٤/١.

وجاء في اللسان" قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: ثَرْمَداءُ مَاءٌ لِبَنِي سَعْدٍ فِي وَادِي السِّتارِيْن قَدْ وردتُه، يُسْتَقَى مِنْهُ بِالْعِقَالِ لِقُرْبِ قَعْرِهِ"(١).

٣- (ع ب ب) العَبِيبَة

قال الأزهري:" وَرَأَيْت فِي الْبَادِيَة ضَرْبًا من الثُّمام يُلْثِي صمغًا حُلوًا يُؤخَذ من قضبانه ويُؤْكَلُ، يُقَال لَهُ لَثَى الثُّمام، فَإِن أَتَى عَلَيْهِ الزمانُ تناثرَ فِي أصُول الثُّمام، فَيُؤْخَذ بترابه وَيجْعَل فِي ثوب ويصبُّ عَلَيْهِ المَاءُ ويُشْخَل بِهِ أَي يُصَفَّى، ثمَّ يُغلَى بالنَّار حَتَّى يخثُر ثمَّ يُؤْكَل. وَمَا سَالَ مِنْهُ فَهُوَ العبيبة. وَقد تعبَّبتُها: أَي شربتها"(٢).

نص الأزهري على أنه رأى أهل البادية وهم يصنعون ما يُسَمَّى بالعبيبة، وهي شراب يُأخذ من لَثَى الثُّمَام، واللَّثَى:ما يَقَع من دَسَمِ الثُّمَام إلى الأَرض(٣). وقيل اللَّثَى: ماءٌ يسيل من الشجر كالصمغ(٤)، والثُّمَام: شجر ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حُشى وسُدَّ به خَصَاص البيوت(٥).

ثم شرح كيفية صنع هذا الشراب بطريقة تفصيلية ساعده في ذلك حياته في البادية، فذكر أن هذا اللَّثَى إن مرَّ عَلَيْهِ زمنُ طويل تناثرَ فِي أصُول الثُّمام، فَيُؤْخَذ بترابه وَيجْعَل فِي ثوبٍ ويصبُّ عَلَيْهِ المَاءُ ثم يُصَفَّى، ثمَّ يُغلَى بالنَّار حَتَّى يبقى فيه بقية صالحة ثمَّ يُؤْكَل، ثم مَا سَالَ مِنْهُ يقال له العَبِيبَة.

ولم يكن الأزهري أول من وصف كيفية صنعها، بل هناك من العلماء ممن ذهب إلى البادية –أيضًا– وصف كيفية عمل هذا الشراب، وإن كان هناك

(١) اللسان (ث ر م د)، وينظر المادة نفسها في: القاموس والتاج.
(٢) ينظر: التهذيب (ع ب).
(٣) ينظر: كتاب الجيم ٣/٢١١.
(٤) ينظر: الصحاح (ل ث ى).
(٥) ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ص٦٨،٦٧.

اختلاف يسير. **قال ابن السكيت:**" وعَبِيبَةُ اللَّثَى: غُسَالَتُه. واللَّثَى: شيء ينضحه الثُمامُ حُلْوٌ، فما سقط منه على الأرض أُخِذَ وجُعِل في ثوب وصُبَّ عليه الماء، فإذا سَالَ من الثوب شُرِبَ حُلْوًا وربماعُقِّدَ"(١).

ونقل **ابن سيده** عن أبي حنيفة الدينوري أن بعض الرّواة زعم أَن الشَّرَاب الَّذِي يُتّخذ مِنْهُ –يقصد لثى الثُّمَام– يسمّى العبيبة، وهم يتبلّغون بِهِ(٢).

٤- (ع ن) العُنَّة

قال الأزهري:" وروى البُشتي فِي (بَاب الْعين وَالنُّون) قال الْخَلِيل: العُنَّة: الحظيرَة، وجمعُها العُنَن. وَأنْشد:

ورَطْبٍ يُرفَّعُ فَوقَ العُنَنْ(٣)

قَالَ البُشْتِيُّ: العُنَن هَاهُنَا: حِبال تُشدُّ ويُلقَى عَلَيْهَا لَحْمُ القَدِيدِ. قلتُ: وَالصَّوَابُ فِي العُنَّة والعُنَن مَا قَالَه الْخَلِيل إِن كَانَ قَالَه. وَقد رأيتُ حُظُرات الْإِبِل فِي الْبَادِيَة تسوَّى من العَرْفَجِ والرِّمثِ فِي مَهَبّ الشَّمَال، كالجِدَارِ الْمَرْفُوع قدرَ قَامةٍ؛ لتُناخَ الْإِبِل فِيهَا، وَهِي تقيها بردَ الشَّمَالِ، ورأيتهم يُسَمُّونَهَا عُنَنًا؛ لاعتنانها مُعْتَرِضَة فِي مَهَبّ الشَّمَالِ. وَإِذا يَبِسَتْ هَذِه الحُظُرات فنحروا جزوراً شَرَّرُوا لَحمَهَا المقدَّدَ فَوْقهَا فيجفُّ عَلَيْهَا. وَلست أَدْرِي عَمَّن أَخذ مَا قَالَه فِي العُنَّة أَنه الْحَبل الْمَمْدُود. ومَدُّ الْحَبل من فِعل الْحَاضِرَة. وَلَعَلَّ قَائِلَهُ رأى فُقَرَاءَ الحَرَمِ يمدون الحِبالَ بِمِنَى فيلقون عَلَيْهَا لُحُوم الهَدْي وَالْأَضَاحِي الَّتِي يُعطَوْنَها، ففسر قَول الْأَعْشَى بِمَا رأى. وَلَو شَاهد العربَ فِي باديتها لعلم أنّ الْعُنَّةَ هِيَ الحِظَارُ من الشَّجَرِ"(٤).

---

(١) إصلاح المنطق ص٣٥١. ونقله عنه الجوهري. ينظر: الصحاح (ع ب ب).

(٢) ينظر: المخصص (بَاب الصّمغ واللّثَى والمغافير والعلوك وَنَحْو ذَلِك).

(٣) عجز بيت من المتقارب، للأعشى ديوانه ص٢١، صدره: **ترى اللَّحْمَ من ذابلٍ قد ذَوَى**

(٤) ذكر الأزهري هذا الكلام في مقدمة كتاب (تهذيب اللغة) في سياق اعتراضه على البشتي =

في النص السابق نقل البُشْتِيُّ عن الخليل[١] أن (العُنَّة) هي الحظيرة، ثم ذكر ما استشهد به الخليل من قول الأعشى، ثم ردَّ البُشْتِيُّ كلام الخليل، وبيَّن أن (العُنَّة) في البيت يراد بها حِبَالٌ تُشدُّ ويُلقَى عَلَيْهَا لَحْمُ القَدِيدِ.

وقد تتبعه الأزهري في قوله هذا، وبيَّن أن الصواب في اللفظ هو ما ذكره الخليل، ثم أخذ في توضيح معنى اللفظ وبيان صورته وصفته على الوجه الذي رآه في البادية، فَقد رأي حُظُرات الْإِبِل فِي الْبَادِيَة تسوَّى من شجر العَرْفَجِ وكذلك شجر الرِّمثِ حيث يوضعان فِي مَهَبّ الشَّمَال، كالجِدَارِ الْمَرْفُوع قدرَ قَامِةٍ؛ لتُناخَ الْإِبِل فِيهَا، لتقيها من برد الشَّمَالِ.

وذكر أنها سميت بذلك لاعتراضها رياح الشمال ومنعها من الوصول إلى الإبل، فقال: ورأيتهم يُسَمُّونَهَا عُنَنًا؛ لاعتنانها مُعْتَرِضَة فِي مَهَبّ الشَّمَالِ.

ثم أوضح أن هذه الأشجار(الحظيرات) إذا جفت وَإِذا يَبِسَتْ هَذِه الحُظُرات فنحروا جزوراً شَرَّرُوا[٢] لَحمَهَا المقدَّدَ فَوْقهَا فيجفُّ عَلَيْهَا.

وعليه: (فالعُنَّة)الأشجار التي توضع على هذه الصفة المعينة؛ لتمنع الرياح من الوصول إلى الإبل أو غيرها، هذا هو الأصل فيها، ثم بعد ذلك تُشَرَّر عليها اللحوم لتجف، فهذه مرحلة ثانية أو عمل ثانوي وليس هو الأصل.

=

في خطأه في تفسير بعض الألفاظ، ولكنه لم يذكره في مادة (ع ن) من الكتاب، وإن كان قد نقله عنه غيره من العلماء، ينظر: (ع ن ن) في اللسان والتاج.

(١) ونص الخليل في العين هو" عُنَّةُ: الحَظِيرةُ من الخشب أو الشجر تُعْمَلُ للإبل أو الغنمِ أو الخيْلِ تكون على باب الرَّجُل. والجمع العُنَن، قال الأعشى:

ترى اللَّحْمَ من ذابلٍ قد ذوى ورطْبٍ يُرَفَّعُ فوْق العُنَنْ". العين (ع ن).

(٢) الشَّرُ :بسطُك الشيء في الشَّمس من الثِّياب وغيره، وشَرَرْتُ الثوبَ:بسطْته في الشمس.

ثم أنكر الأزهري على البشتي هذا التفسير الذي قاله به، فلم يقل به أحد من العلماء، كما أنه لم يره من أحد من سكان البادية، وَلَو شَاهد العربَ فِي باديتها لعلم أنّ الْعُنَّةَ هِيَ الحِظَارُ من الشَّجَرِ، وليس الحبال الممدودة.

ثم ذكر دليلًا آخرى على عدم صحة كلامه وهو أن مَدَّ الْحَبل من فِعل الْحَاضِرَة، وليس من فعل أهل البادية الذين عاش معهم ورأى كيف يعملون.

ثم أخذ في بيان السبب الذي من الممكن أن يكون قد دفع البُشْتِي إلى هذا القول فقال: وَلَعَلَّ قَائِلَهُ رأى فُقَرَاءَ الحَرَمِ يمدون الحِبالَ بِمِنَى فيلقون عَلَيْهَا لُحُوم الهَدْي وَالْأَضَاحِي الَّتِي يُعطَوْنَها، ففسر قَول الْأَعْشَى بِمَا رأى.

وعليه: فهذا الذي قاله البُشْتِي عارٍ تمامًا من الصحة، فلا هو من فعل العرب في البادية ولا من صفاتهم، إنما هو من فعل أهل الحضر.

وبالنظر إلى ما قاله العلماء نجد أنهم جميعًا متفقون مع ما قاله الأزهري.

قال ابن قتيبة:" والعُنَّة: حظيرةٌ من خشب تجعل للإبل"(١). **وقال كراع:**" والعُنَّةُ: حَظِيرَةٌ تُحْبَسُ بها الغنم، وهي أيضًا تجعل من خشب للإبل"(٢).

وجاء في اللسان"والعُنَّة: الحَظِيرة مِنَ الخَشَبِ أَو الشَّجَرِ تُجْعَلُ للإِبل وَالْغَنَمِ تُحْبَسُ فِيهَا، وَقَيَّدَ فِي الصِّحَاحِ فَقَالَ: لتَتَدَرَّأَ بِهَا مِنْ بَرْدِ الشَّمال. قَالَ ثَعْلَبٌ: العُنَّة الحَظِيرَةُ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَيَكُونُ فِيهَا إِبله وَغَنَمُهُ"(٣).

<u>ومما هو جدير بالذكر</u>

أن لفظ (العُنَّة) قد تطورت دلالته فلم تقف عند ما يمنع برد الشمال عن الحيوان، بل تعدت منافعها لبني البشر، فاستخدموها في الحماية من أشعة الشمس وطلب الظل. **قال ابن دريد:**" والعُنَّة: خيمة تتَّخذ من أَغْصَان الشّجر،

(١) الجراثيم ٤١١/١. وينظر: ديوان الأدب للفارابي ٢٨/٣، والصحاح (ع ن ن).

(٢) المنتخب من كلام العرب ص٦٦٢.

(٣) اللسان (ع ن ن).

وَأَكْثر مَا يتَّخذ ذَلِك من الثمام؛ لِأَنَّهُ أبرد ظلا من غَيره"[١]. **وقال ابن بَرّي:**" والعُنَّةُ، بِالضَّمِّ أَيضاً، خَيْمة تُجْعَلُ مِنْ ثُمامٍ أَو أَغصان شَجَرٍ يُسْتَظَلُّ بِهَا"[٢].

<u>مما سبق يتضح أن</u>

١- الأزهري ناقد بصير، يقف على أرض ثابتة من كلام العرب وأفعالهم، مكنه من ذلك حياته في بيئة العرب (البادية).

٢- الأزهري قوي الحُجَّة جدًّا، فقد وصف ما رآه لا ما سمعه، فليس من رأى كمن سمع.

٣- ما ذكره الأزهري يثبت رأيه في أن كتاب العين ليس من وضع الخليل، يدل على ذلك قوله:" إِن كَانَ قَالَه"، وهذا الكلام موجود في العين فعلًا، وقد سبق ذكر النص، ولكن العين عند الأزهري لِلّيْثِ بن المظفر.

٤- العُنَّة هي الحظار من الشجر، وليست حبالًا تُشَدُّ ويُلْقَى عَلَيْهَا القَدِيدُ.

<u>والذي يبدو لي أن</u>

التوفيق بين القولين أولى من طرح أحدهما، ويكون هذا بأن ما ذكره البُشْتِي ليس خطأً، فما الذي يمنع من أن يكون البُشْتِي ذكر ما سمعه، أو وصف ما رآه، كما وصف الأزهري ما رآه؟ ولكن مع اختلاف مكان الرؤية.

فما ذكر الأزهري هو الدلالة الأصيلة للفظ والتي عملها أهل البادية وهي الأقدم، وما ذكره البُشْتِيُّ هو ما صنعه أهل الحضر، وهو التطور الدلالي للفظ، فيكون اللفظ قد تطور دلالته عند أهل الحضر، فبعد أن كانت العُنَّة الحِظَار من الشجر، ثم التي يُجَفَّف عليها القديد بعد أن تَجِفَّ، أصبحت في الحضر حبالًا

(١) الجمهرة (ع ن ن).

(٢) كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح (ع ن ن).

تُشَدُّ ويُلْقَى عَلَيْهَا القَدِيدُ، لما بين الفعلين من تشابه، لا سيما وأن الأزهري قد ذكر ذلك الفعل عن أهل الحضر.

وأيضًا فإن أهل الحضر ليسو بحاجة إلى هذه الحِظار، فهم عندهم من الأماكن ما تحجب عن إبلهم رياح الشمال وغيرها، ولكنهم في حاجة إلى مكان يُجَفف فيه اللحم ويقدد، فلما أشبه فعلهم فعل أهل البادية سموا هذه الحبال باسم هذه الأشجار التي تُتَّخذ للحِظَار.

لكن الذي يؤخذ على البُشْتِي أنه خصَّ المعنى الذي ذكره بتفسير قول الأعشى ولو ذكره دون تقييد لكان أولى، حيث إن الأعشى –كما هو معروف– شاعر جاهلي عاش في البادية حياته كلها ولا علاقة له بحياة الحضر، فإذا جاء اللفظ في شعره فهو يقصد ما صنعه أهل البادية وهو الأصل في الدلالة وهو الصواب وهو ما عليه العلماء وهو ما قاله الأزهري.

وأيضًا هو ما يتفق والدلالة المحورية للجذر (ع ن ن)، **قال ابن فارس:**" الْعَيْنُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى ظُهُورِ الشَّيْءِ وَإِعْرَاضِهِ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى الْحَبْسِ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ، وَهُوَ الْحَبْسُ، فَالْعُنَّةُ، وَهِيَ الْحَظِيرَةُ، وَالْجَمْعُ عُنَنٌ. قَالَ أَبُو زِيَادٍ: الْعُنَّةُ: بِنَاءٌ تَبْنِيهِ مِنْ حِجَارَةٍ، وَالْجَمَعُ عُنَنٌ ... يُقَالُ: عَنَنْتُ الْبَعِيرَ: حَبَسْتُهُ فِي الْعُنَّةِ"(١).

٥- (ق ر م ص) القَرَامِيص

قال الأزهري:" وَكنت فِي الْبَادِيَة فهبَّتْ ريحٌ عَرِيَّةٌ، فرأيتُ مَن لَا كِنَّ لَهُ مِن خَدَمِهم يَحْتفِرُون حُفَراً فِي الأَرْض السَّهلةِ ويَبيتون فِيهَا ويُلقُون أهدامهم فَوْقهم، يَرُدُّون بذلك برْدَ الشمَال عَنْهُم، ويسمُّون تِلْكَ الحُفَر القراميص"(٢).

(١) المقاييس (ع ن ن).

(٢) التهذيب (ق ر م ص). "والهِدْمُ: الثَّوْب الْخلق المرقع، وَقيل: هُوَ الَّذِي ضوعف رقاعه، وَخص ابْن الْأَعرَابِي بِهِ الكساء الْبَالِي من الصُّوف دون الثَّوْب، وَالْجمع أهدامٌ، وهِدَمٌ".

القَرَامِيص جمع قُرْمُوص أوضحه الأزهري ووصفه وصفًا دقيقًا؛ لأنه رآه بعينه في البادية، فذكر أنه حفرة تكون للخدم الذين ليس لهم بيت ولا شيء يسترهم، يحْفرونهاُ في الأرض السهلة إذا هبت ريح عريَّة أي باردة، يتقون بها البرد.

قال الخليل:" القُرْمُوصُ: حُفرةٌ واسعة الجوف، ضيقة الرأس يستدفئ فيها الإنسانُ الصَّرِد"(١). **وقال ابن السكيت:**" القرموص: حفرة يحتفرها إلى صدره، فيدخل فيها إذا اشتد عليه البرد"(٢). **وقال ابن سيده:**" والقرموص، والقرماص: حُفْرَة يستدفي فِيهَا الْإِنْسَان الصرد من الْبرد، قَالَ:

جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمَّا اتَّخِذْ رَبَضًا يَا وَيْحَ كَفِّي مِنْ حَفْرِ القَرَامِيصِ(٣)

وَقد قَرْمَصَ، وتَقَرْمَصَ: دَخَلَ فِيهَا وتَقَبَّضَ"(٤). **وقال ابن الأثير:**"القُرْمُوص: حُفْرَة يَحْفِرها الرجُل يَكْتَنّ فِيهَا مِنَ الْبَرْدِ، ويَأْوِي إِلَيْهَا الصَّيد، وَهِيَ وَاسِعَةُ الجَوْف ضَيِّقة الرَّأْسِ. وقَرْمَصَ وتَقَرْمَص إِذَا دَخلها" (٥).

<u>مما سبق يتضح أن</u>

١- نَصُّ الأزهريّ أوفى النُّصُوصِ وأشملها، فقد جَلَّى حقيقة اللفظ ولم يترك فيه شيء من الخفاء، كما لم يضف غيره شيئًا زائدًا على ما ذكره، إلا ما قال

(١) العين (ق ر م ص).

(٢) كتاب الألفاظ ص٣٥١.

(٣) البيت من البسيط، بلا نسبة في إصلاح المنطق لابن السكيت ص٦٠، والزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٢/٦٠، الرَّبَضُ: كُلُّ مَا يُؤْوَى إِلَيْه ويُسْتَرَاحُ لَدَيْه، مِنْ أَهْلٍ، وقَرِيبٍ، ومالٍ، وبَيْتٍ، ونَحْوِه.

(٤) المحكم (ق ر م ص).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (ق ر م ص).

الخليل: من أنها تكون واسعة الجوف، ضيقة الرأس، وما ذكره الخليل ربما لم يكن من صفة القراميص التي رآها الأزهري لذلك لم ينص عليها.

٢- القُرْمُوصُ من ألفاظ الخصوص، فهو خاص بالخدم ولا يكون للسادة، بل إنه خاص بنوع معين منهم، وهم من لا كِنَّ لهم ولا بيت يسترهم، **هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى** فهو يحفر ليقي صاحبه من البرد، وليس من أي شيء كالخوف من عدوٍ –مثلًا– أو من حيون مفترس، وما إلى ذلك.

٣- القراميص تحفر في الأرض السهلة التي يمكن فيها الحفر، ولا تكون في الأرض الحَزْنة الصلبة، التي يكون الحفر فيها صعبًا وشاقًّا.

٦- (ع ر ش) العَرِيش

قال الأزهري:" وَقد رأيتُ الْعَرَبَ تَسَمِّي المَظَالَّ[١] الَّتِي تُسَوَّى من جَرِيدِ النَّخْلِ[٢] ويُطرَحُ فَوْقَهَا الثُّمامُ[٣] عُرُوشًا، وَالْوَاحدُ مِنْهَا عَرِيشٌ، ثمَّ يُجمَع عُرُشًا، ثمَّ عُرُوشًا جمعُ الْجمع. وَمِنْه حَدِيث ابْن عمر أَنَّه كَانَ يقطع التلبيةَ إِذا نظرَ إِلَى عروش مكَّة[٤]، يَعْنِي بيُوت أهل الْحَاجة مِنْهُم. وَمِنْه حَدِيث سعدٍ أَنه

(١) المَظَال جمع ومظلة، "والظُّلَّة والمِظَلَّة سواء: وهما ما يُستَظَلُّ به من الشمْس، ويقال: مَظَلَّة". العين (ظ ل).

(٢) سَاوَيْتُ هَذَا بذاكَ: إِذَا رَفَعْته حَتَّى بلَغ قَدْره ومَبْلَغه. وسَاوَى الشيءُ الشيءَ: إِذَا عادَلَه. وساوَيْتُ بينَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا عَدَّلْتَ بينهما وسَوَّيْت. ينظر: التاج (س و و).

(٣) والثُّمام: نَبْتٌ ضَعِيفٌ لَهُ خُوصٌ أَو شَبِيهٌ بالخُوص، وَرُبَّمَا حُشِي بِهِ وسُدَّ بِهِ خَصاص الْبُيُوتِ. وقيل هو: نَبْتٌ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ لَا يَطُولُ. وقيل هو: مَا يَبِس مِنَ الأَغْصان الَّتِي توضَع تَحْتَ النَّضَدِ. وهو أَنواع: فَمِنْهَا الضَّعَة وَمِنْهَا الجَلِيلةُ وَمِنْهَا الغَرَفُ، وَهُوَ شَبِيهٌ بالأَسَل وتُتَّخذ مِنْهُ المَكانِس، ويُظَلَّل بِهِ المَزاد فيُبَرِّد الْمَاءَ. ينظر: اللسان(ث م م).

(٤) صحيح ابن خزيمة،(بَابُ قَطْعِ التَّلْبِيَةِ فِي الْحَجِّ عِنْدَ دُخُولِ الْحَرَمِ.)حديث رقم(٢٦٩٧).

قَالَ:(تمتّعنا مَعَ رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وفلانٌ كافرٌ بالعُرُش)[١]، **يَعْنِي وَهُوَ مقيمٌ بعروش مكَّة وَهِي بيوتها فِي حَال كفره**"[٢].

في النص السابق ذكر الأزهري أنه رأى عريشًا كانت تصنعه العرب، وصفه بأنه مَظَالٌ تُسَوَّى من جريد النَّخْلِ، ويُطْرَحُ فوقها نبات الثُّمَام. **قال الخليل:** "والعَريشُ: ما يُسْتَظلُّ به، وإن جُمِعَ قيل: عُرُوشٌ في الاضطرار"[٣]. **وقال ابن دريد:**" والعَرِيشُ: ظُلَّةٌ من شَجَرٍ أَو نَحْوِهِ، وَالْجمع: عُرُش"[٤].

وجاء في اللسان" والعَرِيشُ: خَيْمةٌ مِنْ خَشَبٍ وثُمام. والعُروش والعُرُش: بُيُوتُ مَكَّةَ، وَاحِدُهَا عَرْشٌ وعَرِيشٌ، وَهُوَ مِنْهُ لأَنها كَانَتْ تَكُونُ عِيداناً تُنْصَبُ ويُظَلَّلُ عَلَيْهَا؛ عَنْ أَبي عُبَيْدٍ: وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: أَنه كَانَ يَقْطع التَّلْبِيةَ إِذا نَظَر إِلى عُروش مَكَّةَ؛ يَعْنِي بيوتَ أَهل الْحَاجَةِ مِنْهُمْ، وَقَالَ ابْنُ الأَثير: بُيُوتُ مَكَّةَ لأَنها كَانَتْ عِيدَانًا تُنْصَبُ ويُظَلَّل عَلَيْهَا. وَفِي حَدِيثِ سَعْدٍ قِيلَ لَهُ: إِن مُعَاوِيَةَ يَنْهانا عَنْ مُتْعة الْحَجّ، فَقَالَ: تَمَتَّعْنا مَعَ رَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعاويةُ كَافِرٌ بالعُرُشِ؛ أَراد بُيُوتَ مَكَّةَ، يَعْنِي وَهُوَ مُقِيمٌ بعُرُش مَكَّةَ أَي بُيُوتِهَا فِي حَالِ كُفْرِه قَبْلَ إِسلامِه، وَقِيلَ أَراد بِقَوْلِهِ كَافِرٌ الاخْتِفاء وَالتَّغَطِّيَ؛ يَعْنِي أَنه كَانَ مُخْتفياً فِي بُيُوتِ مَكَّةَ، فَمَنْ قَالَ عُرُش فَوَاحِدُهَا عريشٌ مِثْلُ قَليبٍ وقُلُبٍ، وَمَنْ قَالَ عُروش فَوَاحِدُهَا عَرش مِثْلُ فَلْس وفُلوس. والعَريش والعَرْشُ: مكةُ نفسُها كَذَلِكَ"[٥].

(١) صحيح مسلم، (بَابُ جَوَازِ التَّمَتُّعِ)، حديث رقم (١٦٤).
(٢) التهذيب (ع ر ش).
(٣) العين (ع ر ش).
(٤) الجمهرة (ع ر ش).
(٥) اللسان (ع ر ش).

وذكر **ابن فارس** أن" الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالشِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ مَبْنِيٍّ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ"(١).

وما ذكره ابن فارس –يبدو منه أنه– يتعارض مع ما ذكره العلماء من أن دلالة لفظ العريش على ما يُسْتَظَلُّ أو يُسْتَتَرُ به، فكيف يدور معنى الجذر حول الارتفاع ويدل على الظِّل والاستتار، فالشيء إذا ارتفع بَرَزَ وظَهَرَ؟

أقول إن المقصود من الارتفاع هنا ليس الارتفاع بمعنى الظهور عن الغير(٢) –وإن كان هذا واقعًا فعلًا– وإنما المقصود منه الارتفاع الذي يستر ويحجب الشخص أو غيره عن ما قُصِد الاستتار منه، كارتفاع البناء والجبل وغيرهما.

وعليه جاءت استعمالات الجذر، **قال ابن فارس:**" وَالْعَرِيشُ: بِنَاءٌ مِنْ قُضْبَانٍ يُرْفَعُ وَيُوَثَّقُ حَتَّى يُظَلِّلَ. وَقِيلَ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ بَدْرٍ:" أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا"(٣). وَكُلُّ بِنَاءٍ يُسْتَظَلُّ بِهِ عَرْشٌ وَعَرِيشٌ ... وَمِنَ الْبَابِ الْعَرِيشُ، وَهُوَ شِبْهُ الْهَوْدَجِ يُتَّخَذُ لِلْمَرْأَةِ تَقْعُدُ فِيهِ عَلَى بَعِيرِهَا"(٤).

فدلالة الجذر(ع ر ش) تدور حول الارتفاع الحسي كما في الاستعمالات السابقة، ثم استعملت في الدلالة المعنوية عن طريق الاستعارة –كما ذكر ابن فارس– في عرش المَلِك، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا** ﴾ {يوسف: ١٠٠}.

(١) المقاييس (ع ر ش).
(٢) كما هو الحال في الجذر (ن ص ص) مثلًا.
(٣) سنن الدارمي،(بَابُ مَا أُكْرِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَنِينِ الْمِنْبَرِ) رقم(٣٦).
(٤) المقاييس (ع ر ش).

وقد تجمع دلالة اللفظ بين الارتفاع الحسي والمعنوي، كما في عرش الله عز وجل، قال تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ {طه:٥}،وقال سبحانه: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ {الحاقة:١٧}.

وفي ذكر الأزهري للفظي (المِظَلَّة) و(العريش) في النص دلالة تشير إلى أن بين اللفظين تطورًا دلاليًّا باتساع الدلالة، حيث إن اللفظين يشتركان في جزء من المعنى، ففي كليهما معنى الاستتار.

قال الفيومي:" وَالْمِظَلَّةُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الظَّاءِ الْبَيْتُ الْكَبِيرُ مِنْ الشَّعْرِ وَهُوَ أَوْسَعُ مِنْ الْخِبَاءِ قَالَهُ الْفَارَابِيُّ فِي بَابِ مِفْعَلَةٍ (بِكَسْرِ الْمِيمِ)، وَإِنَّمَا كُسِرَتْ الْمِيمُ لِأَنَّهُ اسْمُ آلَةٍ، ثُمَّ كَثُرَ الِاسْتِعْمَالُ حَتَّى سَمَّوْا الْعَرِيشَ الْمُتَّخَذَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ الْمَسْتُورِ بِالثُّمَامِ مِظَلَّةً عَلَى التَّشْبِيهِ"(١).

(١) المصباح (ظ ل ل).

المبحث الرابع: ما رآه الأزهري في البادية من الحشرات والهوام

١- (س م س م) السِّمْسِمَة

قال الأزهري:" وَقَالَ اللَّيْث: يُقَال لدُوَيْبةٍ على خِلْقَة الأَكلَة حمراءَ هِيَ السِّمْسِمة. قلت: وَقد رأيتُها فِي الْبَادِيَة، وَهِي تَلسَع فتؤلِمُ إِذا لَسَعَتْ. وَقَالَ أَبُو خَيْرة: هِيَ السَّماسِم، وَهِي هَناتٌ تكون بالبَصْرة يَعْضُضْن عَضّاً شَدِيدا، لهنّ رُؤوسٌ فِيهَا طول، إِلَى الحُمرة أَلوانُها"(١).

نقل الأزهري كلام الليث في السِّمْسِمَة الذي نصَّ فيه على أنها دُوَيْبة على خِلْقَة الأَكَلَة، ولونها أحمر، وزاد الأزهري أنه رآها في البادية، وأنها تلسع لسعًا يؤلم، ولم يكتف الأزهري بهذا بل ذكر كلام أبي خيرة الذي أضاف في وصف السِّمْسِمة أن لها رؤوسًا فيها طول.

وما ذكره العلماء لم يخرج عما ذكره الأزهري، **قال ابن سيده:**" والسَّمَامَةُ والسُّمْسُمَةُ والسِّمْسِمَةُ دُوَيْبَّةٌ وهي النَّمْلةُ الحمراء"(٢).

وجاء في اللسان" والسَّمَامَةُ والسَّمْسُمة والسِّمْسِمة: دُوَيْبَّة، وَقِيلَ: هِيَ النَّمْلَةُ الْحَمْرَاءُ، وَالْجَمْعُ سَماسِم. اللَّيْثُ: يُقَالُ لدُوَيْبَّة عَلَى خِلْقة الآكِلَة حَمْرَاءُ هِيَ السِّمْسِمة؛ قَالَ الأَزهري: وَقَدْ رأَيتها فِي الْبَادِيَةِ، وَهِيَ تَلْسع فتُؤلم إِذا لَسَعَت؛ وَقَالَ أَبو خَيْرَةَ: هِيَ السَّماسِم، وَهِيَ هَناتٌ تَكُونُ بِالْبَصْرَةِ تَعَضُّ عَضّاً شديداً، لَهُنَّ رؤوس فِيهَا طُولٌ إِلى الْحُمْرَةِ أَلوانُها"(٣).

يتضح من هذا المثال أن الأزهري يبني على كلام غيره من العلماء ويضيف ما سكتوا عنه أو ما لم يذكروه، ولا يعارضهم إلا في حال وجد خلاف ما قالوا، والأمثلة على ذلك كثيرة.

---

(١) التهذيب (س م س م).

(٢) المحكم (س م س م).

(٣) التهذيب (س م س م)، وينظر التاج (س م س م).

٢- (و ح ر) الوَحَرَة

قال الأزهري:" وَقد رَأَيْت الوَحَرَة فِي الْبَادِيَة وخِلْقَتُها خِلْقَةُ الوَزَغِ إلاّ أَنّها أَشدُ بَيَاضًا مِنْهَا، وَهِي منقَّطَةٌ بِنُقَط حُمْرٍ، وَهِي من أَقْذَرِ الدَّوَابّ عِنْد الْعَرَب، وَلَا يأكلها أحد"(١).

نصَّ الأزهري على أنه رأى دابة في البادية يقال لها: الوَحَرَة، ثم أخذ في ذكر نعوتها وأوصافها بما رأى وشاهد، فذكر.

١- أنها دابَّةٌ من دوابِّ البادية، ونصُّ غيره أنها تكون في الصحاري(٢)، ومنهم من قال أنها تكون في الجبابين أو تأتي منها، والمعنى واحد(٣).

٢- خِلْقَتُها خِلْقَةُ الوَزَغِ إلاّ أَنّها أَشدُّ بَيَاضًا مِنْهَا، ونَصُّ غيره أنها أصغر من العَظَايَةِ(٤).

٣- منقَّطَةٌ بِنُقَط حُمْرٍ، ونصُّ غيره أنها حمراء تلزق بالأرض كالعظاءة، وهو قريب مما ذُكر(٥).

٤- من أَقْذَرِ الدَّوَابّ عِنْد الْعَرَب. ولَا يأكلها أحد منهم.

وزاد غير الأزهري من صفاتها.

١- أنها تقع بالطعام فتفسده؛ لأنها لَا تطَأ طَعَاما وَلَا شرابًا إِلَّا سَمَّتْهُ، وَلَا يأْكلُه أَحَدٌ إلاّ مَشَى بطنُه وأَخَذَه قَيءٌ.

---

(١) التهذيب (و ح ر).

(٢) ينظر: العين (و ح ر).

(٣) ينظر: المحكم (و ح ر).

(٤) ينظر: اللسان (و ح ر). والعَظَايَةُ هي: الوزغ، فالوزغ: سام أبرص، والعَظايَةُ: على خلقة سام أبرص، أو أُعَيظِم منهُ شيئًا.

(٥) ينظر: الصحاح (و ح ر)، وينظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/٥٣٤.

٢- لَهَا ذَنبٌ دقيقٌ تَمْصَعُ بِهِ إِذا عَدَتْ، المَصْع: التَّحريك. وَقيل: هُوَ عَدو شَدِيد يُحَرك فِيهِ الذَّنب.

وأكتفي بذكر ما **قاله الزبيدي** في الوَحَرَة فقد جمع -تقريبًا- كل ما قيل فيها قبله:" الوَحَرَةُ، مُحَرَّكَةً: وَزَغَةٌ تكون فِي الصّحارَى أَصغرُ من العَظاءَةِ، كسَامّ أَبْرَصَ، وَفِي التَّهْذِيب وَهِي إِلْفُ سَوَامّ أَبرصَ خِلْقَةً، وَجَمعهَا {وَحَرٌ، أَو ضَرْبٌ من العَظاءِ، وَهِي صغيرةٌ حمْراءُ لَهَا ذَنبٌ دقيقٌ تَمْصَعُ بِهِ إِذا عَدَتْ، وَهِي أَخْبَثُ العَظاءِ لَا تَطَأُ شَيْئا من طَعام أَو شراب إلاّ سمَّتْه، وَلَا يأْكلُه أَحَدٌ إلاّ مَشَى بطنُه وأَخَذَه قَيءٌ، قَالَ الأَزْهَرِيّ: وَقد رأَيتُ الوَحَرَةَ فِي الْبَادِيَة وخِلْقَتُها خِلْقَةَ الوَزَغ إلاّ أَنَّها بيضاءُ مُنَقَّطة بحُمْرَة، وَهِي قذرةٌ عِنْد الْعَرَب لَا تأكلها. وَفِي الصِّحَاح، الوَحَرَة. بِالتَّحْرِيكِ: دُوَيْبَةٌ حَمراءُ تَلْتَزِقُ بالأَرضِ كالعَظاءِ"[١].

وذكر **ابن فارس** أن الجذر (و ح ر) كلمة واحدة فلم يذكر له دلالة محورية، فقال:" الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ الْوَحَرَةُ: دُوَيْبَةٌ شِبْهُ الْعَظَايَةِ إِذَا دَبَّتْ عَلَى اللَّحْمِ وَحِرَ، ثُمَّ شُبِّهَ الْغِلُّ فِي الصَّدْرِ بِهَا، فَيُقَالُ وَحِرَ صَدْرُهُ"[٢].

<u>مما سبق يتضح أن</u>

الأزهري كان دقيقًا في وصفه لما رآه في البادية من الكائنات الغريبة، فأتى على جُلِّ أوصافها، ولم يزد عليه العلماء الشيء الكثير، وهذا يوضح مدى الأمانة والدِّقَّة والحرص في تحصيل اللغة وجمعها عند العلماء عامة والأزهري خاصة. كما يتضح أن الأزهري جاء بصفات للوَحَرَة لم يأتِ بها أحد ممن سبقه، ولم يعرفها مَن جاء بعده إلا من خلاله، ككونها من أقذر الدواب عند العرب، وأنه ليس أحد منهم يأكلها.

(١) التاج (و ح ر).

(٢) المقاييس (و ح ر).

المبحث الخامس: من رآهم الأزهري في البادية من الأشخاص

١- (خ ب ش) خَنْبَشَا

قال الأزهري:" وَقد رَأَيْت غُلَامًا أَسْوَدَ فِي الْبَادِيَة كَانَ يسمَّى خَنْبَشًا، وَهُوَ فَنْعَلٌ من الْخَبْشِ"(١).

في النَّصِّ السابق ذكر الأزهري أنه رأى غلامًا أسودًا في البادية اسمه خَنْبَشا، على وزن فَنْعَل، مشتق من الخَبْشِ.

والخَبْشُ: مثلُ الهَبْشِ، **قال ابن دريد:**" الخَبْشُ: مثلُ الهَبْشِ سَوَاء، وَهُوَ جمع الشَّيْء. واشتقاق اسْم خَنْبِشَ من هَذَا. النُّون زَائِدَة"(٢). **وقال أيضًا:**" وَرجل خَنْبَشٌ: كثير الْحَرَكَة، فَإِن كَانَت النُّون فِيهِ زَائِدَة فَهُوَ من قَوْلهم خَبَشَ الشيءَ وخَبَّشَهُ: إِذا جمعه"(٣).

وقال ابن سيده:" خَبَشَ الشَّيْء: جَمَعَهُ من هَاهُنَا وَهَاهُنَا. والخَبْشُ: مثل الهَبْش سَوَاء، وَهُوَ جمع الشَّيْء. وَرجل خَبّاشُ: مكتسب. وخَنْبَش: اسْم رجل، مُشْتَقّ من أحد هَذِه الْأَسْمَاء"(٤).

مما سبق يتضح أن

العلماء ذكروا للاسم (خَنْبَشَ) معنيين، **الأول:** الذي يجمع الشيء، أو الذي يجمع الطعام. **والثاني:** الكثير الحركة.

والجمع بين المعنيين سهل، فكلا المعنيين مرتبط بالأخر، وليس مفصولًا عنه، فإذا كان الشخص كثير الحركة هو سريع في جمع الأشياء بما في ذلك الطعام، ويبدو أن هذه هي علة التسمية التي لوحظت في هذا الغلام الأسود.

---

(١) التهذيب (خ ب ش).
(٢) الجمهرة (خ ب ش).
(٣) الجمهرة (خ ن ب ش).
(٤) المحكم (خ ب ش).

٢- (ش غ ن ب) شُغْنُوب

قال الأزهري:" ورأيْتُ فِي الْبَادِيَة رجلًا اسْمه شُغْنُوبٌ، فَسَأَلت غُلَامًا فصيحًا من بَني كُلَيْب بن يَرْبوع عَن معنى اسْمه، فَقَالَ: الشُّغنوب: الغُصْنُ الرَّطْبُ النَّاعِمُ"(١).

شُغْنُوبٌ اسم رجل رآه الأزهري في البادية، هذا الاسم كان غريبًا لم يكن يعرف الأزهري معناه، فسأل عنه غُلَامًا –وصفه بأنه فصيح– من قبيلة بني كُلَيْب بن يربوع، فأجابه بأنه: الغُصْنُ الرَّطْبُ النَّاعِمُ، فسُمِّي هذا الرجل بهذا الاسم من باب التفاؤل، على بعض عادات العرب في اختيار أسماء أبنائهم.

وهذا الجذر أهمله الخليل(٢) والجوهري، وابن فارس.

واللفظ ذكره بعض من أصحاب المعاجم ممن جاء بعد الأزهري، فجاء في اللسان" الشُّغْنُوبُ: أَعالي الأَغْصانِ؛ تَقُولُ للغُصْنِ النَّاعِم: شُغْنُوبٌ وشُنْغُوبٌ، وَكَذَلِكَ الشُّنْغُبُ والشُّنْغُوب"(٣).

وقال الزبيدي:" الشُّغْنُوبُ–بالضّمِّ–أَهْمَلَه الجَوْهَرِيّ. وقَالَ الأَزْهَرِيّ: الشُّغْنُوب كالشُّنْغُوبِ: أَعَالِي الأَغْصَان. والغُصْنُ النَّاعِمُ الرَّطْبُ، كالشُّغْنُبِ

---

(١) التهذيب (ش غ ن ب).

(٢) فلم يفرده بالتوضيح والبيان في موضع مستقل من معجمه، إلا أنه قد ذكره في توضيحه لجذر أخر، فقال في مادة (ط ح ر):" قال الخليل:" وقال في عَيْن الماء:

تَرَى الشُّرَيْرِيغَ يَطْفُو فَوْقَ طاحِرَةٍ مُسْحَنْطِراً ناظِراً نحوَ الشَّناغِيبِ

يصف عَيْنَ ماء تفُور بالماء، والشُّرَيْرِيغ: الضِّفْدَع الصغير، والطاحرةُ: العَيْن التي ترمي ما يُطْرَح فيها لشِدَّة حَمْوَة مائها من مَنبَعها وقُوَّة فَوَرانه، والشَّناغيب والشَّغانيب: الأغصان الرَّطْبة، واحدها شُغْنُوب وشُنْغوب، والمُسْحَنْطِر: المشرف المنتصب" العين (ط ح ر).

وذكر محقق كتاب العين أنه نقل هذا الكلام عن تهذيب الأزهري منسوبًا لليث.

(٣) اللسان (ش غ ن ب).

والشُّنْغُب. وشُغْنُوبٌ: اسْم. وَابْن شَغْنَبٍ كجَعْفَرٍ: شَاعِرٌ معروف"[١]، ومن الواضح جِدًّا أنهم أخذوه عنه.

والذي يبدو من كلامهم: أنهم يرجحون كون معنى اللفظ أعالي الأغصان، حيث صدَّروا المادة بهذا المعنى.

ومن العلماء من اقتصر في دلالة اللفظ على كونه رؤوسُ الأغصانِ العليَا، **قال أبو هلال العسكري:**"والشَّغانيبُ رؤوسُ الأغصانِ العليَا،والواحدُ شغنوبٌ"[٢]

<u>مما سبق يتضح أن</u>

١- الشُّغْنُوبُ والشُّنْغُوبُ بمعنى واحد، فهو من قبيل القلب المكاني.

٢- الشُّغْنُوبُ في أصل وضعه يدل على الغصن العالي، أو الغصن الناعم، ولا اختلاف في ذلك، فإن نعومة الغصن –غالبًا– ما تتعلق بكونه عاليًا مرتفعا عن غيره من ناحية، وعن الأرض من ناحية أخرى، فإن من ينظر إلى أغصان الشجر يجد أن أنعم أغصانها أعاليها، إما لأنها بعيدة عن الأرض فلا يصل إليها من التراب والقذر ما يصل لغيرها فيجعلها خشنة الملمس، وإما لأنها تكون حديثة عهد بإنبات فيكون ملمسها ناعمًا كملمس جلد الطفل الصغير، فلا اختلاف إذًا بين القولين.

٣- لم يقتصر الأزهري في جمع اللغة والبحث عن معاني مفرداتها على الرجال الكبار فقط، فقد تخطَّوا ذلك حتى أخذوا اللغة عن الغلمان ما داموا فصحاء.

(١) التاج (ش غ ن ب).

(٢) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ص٣٠٥.

المبحث السادس: ما رآه الأزهري في البادية من الحيوانات

(ع ن ق) عَنَاق الأَرْض

قال الأزهري:" وعَنَاق الأَرْض: دابَّة فُوَيق الْكَلْب الصِّيني، يصيد كَمَا يصيد الفَهْدُ، وَيَأْكُل اللَّحمَ، وَهُوَ من السِّباع، يُقَال: إِنَّه لَيْسَ شيءٌ من الدَّوَابِّ يوَبِّر: أَي يعفِّي أَثَره إِذا عدا غَيرَهُ وَغيرَ الأرنبِ؛ وَجمعه عُنوقٌ أَيْضا، والفُرْسُ تسمِّيه(سِيَاهْ قُوشْ)، وَقد رَأَيْته فِي الْبَادِيَة أسودَ الرَّأْس أَبيض سائِره"(١).

ذكر **الأزهري** أنه رأى دابَّة في البادية يطلق عليها العرب اسم(عَنَاق الأرض) والفُرْسُ تسمِّيها(سِيَاهْ قُوشْ)، وقد وصفها وصفًا دقيقًا بصفات متعددة، فأتى على كثير من صفاتها، وما زاد عليه أحد من العلماء إلا القليل، فذكر أنها:

١- في ارتفاعها فويق الكلب الصيني(٢).

٢- من الحيوانات الصَّيَّادة، فهي تصيد كما يصيد الفهد.

٣- من السباع، وتأكل اللحم. شأنها شأن الأسود والنمور، والضباع.

٤- توبر أثرها وتخفيه فلا يعلم بوجودها أحد كالأرانب.

٥- سوداء الرأس، بيضاء سائر الجسد.

ولم يكن الأزهري وحده من وصف هذه الدابة، **قال الخليل:**" وَعَناقُ الأرضِ: حَيَوانٌ أَسْوَدُ الرَّأسِ طَويلُ الظهر، أصغَر من الفَهدِ"(٣). **وقال الجاحظ:**" هي التي يقال لها: التُّفَةُ، وهي دابَّةٌ نحو الكلب الصَّغِيرِ، تصيد صيدًا حَسَنًا، وربَّما واثب الإنسان فعقره، وهو أحسن صيدًا من الكلب"(٤). **وزاد ابن سيده أنها**"

---

(١) التهذيب (ع ن ق).

(٢) وهو صغير الجرم قصير القوائم جدًا، يستطيع أن يميز بين رائحة الميت حقيقة قبل دفنه ليتأكدوا من موته. ينظر: تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر (ق ل ط ي).

(٣) العين (ع ن ق). وينظر: ديوان الأدب للفارابي ٣٨١/١.

(٤) الحيوان ٥٠٠/٦.

تصيد كل شَيْء حَتَّى الطَّيْرَ "[١]. **وقال الفيومي:**" قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهِيَ خَبِيثَةٌ لَا تُؤْكَلُ، وَلَا تَأْكُلُ إلَّا اللَّحْمَ"[٢]. **وقال الدَّمِيري:**" قال قتادة: دابَّة وحشية أكبر من السِّنَّوْرِ، وأصغر من الكلب"[٣].

فزاد العلماء على ما ذكره الأزهري

١ـ أنَّه ربَّما واثب الإنسان فعقره. ٢ـ خَبِيثَةٌ لَا تُؤْكَلُ.

٣ـ يصيد كل شَيْء حَتَّى الطَّيْرَ. ٤ـ أحسن صيدًا من الكلب.

ويبدو من نصِّ الأزهري السابق أن كل ما ذكره في وصف(عَنَاق الأرض) لم يره بعينه، فأحيانًا قد لا يتمكن من ذهب إلى البادية من رؤية كل شيء عن شيء واحد، لاسيما إن كان هذا الشيء من الحيوانات غير الأليفة، التي لا يمكن التعامل معا ولا ملازمتها، فالأزهري رأى عناق الأرض لكنه لم يتمكن من معرفة كل مالها من طباع، فاستعان بمن هم أطول حياة في البادية منه وأخذ عنهم بعض أوصافها.

ولعل ما يؤيد ذلك أنه ذكر بعض الصفات بقوله: يقال–وهنا تظهر أمانته في نقل الأخبار– وهي لا تفيد الجزم واليقين، فربما سمع بعض الأوصاف ورأى بعضها، يتضح ذلك من تأكَّد رؤيته بأنها سوداء الرأس، بيضاء سائر الجسد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عَنَاق الأرض دابَّة لها الكثير من الأسماء، منها العَفَنَّطُ والفُنْجُل، والرُّفَقَةُ، والتُّفَّةُ، والعُنْجُل"[٤]، وهذا من قبيل الترادف.

(١) المحكم (ع ن ق).

(٢) المصباح (ع ن ق).

(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢/٢١٤.

(٤) ينظر مواد هذه الكلمات: في اللسان والتاج.

الخاتمة

الحمد لله الذى بعونه تتم الصالحات، وبفضله ترفع الدرجات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــد

فقد انتهيت –بعون الله–من دراسة (ما رآه الأزهري في البادية) وقد أسفرت الدراسة عن عِدَّة نتائج أُجْمِلُهَا فيما يلي:

١ـ الأزهري عالم ثقة كلامه حجة في العربية، أثرى الحياة العلمية بشكل عام، واللغوية بشكل خاص بمجموعة كبيرة من أمهات الكتب في مجالات متعددة.

٢ـ تهذيب اللغة معجم جامع ضمَّنه صاحبة أشياء كثيرة ميزته عما سبقه من المعاجم، كما انفرد بأشياء لم يسبق إليها، وأخذها عنه من جاء بعده.

٣ـ نص الأزهري على رؤيته لخمسة عشر نباتًا، وسبعة مظاهر طبيعية، وستة أعمال من صنع أهل البادية، وحشرتين، وحيوان واحد.

٤ـ تعددت الأشياء التى رآها الأزهري وتنوعت، وقد نقلها بدقة، غير أنه أولى النباتات والأشجار عناية فائقة، فذكر أنواعًا متعددة منها، وقد أبلى في وصفها بلاءً حسنًا، والسبب في ذلك أنه تعامل مع هذه النباتات تعاملًا مباشرًا لفترة ليست بالقصيرة، وكان أثرها هي حياته أكبر من أثر غيرها، وفي نظري لولا وجود كتاب النبات لأبي حنيفة لكان تهذيب الأزهري رائدًا في هذا المجال.

٥ـ أفاد أهل البادية إفادة عظيمة من كل ما يحيط بهم بكل وجه ممكن وخاصة النباتات، فقد استخدموها في الأدوية والطعام ودبغ الجلود وصبغ الشعر وإيقاد النيران وغير ذلك.

٦. برع الأزهري في وصف كثير من الأشياء التي نصَّ على رؤيتها، لكن هذا لم يكن على طول الخط، ففي بعض الأحيان كان يهمل بعض الصفات لبعض الأشياء التي رآها وقد ذكرها من سبقه من العلماء.

٧ـ لم ينص الأزهري على أنه رأى طائرًا واحدًا في البادية، ولا أدري ما السبب في ذلك؟ هل لم ير بها طيورًا؟ أم أنه رآها ولم يعرها اهتمامًا؟ أم أنها كانت معروفة لدى الجميع ليس فيها ما يلفت الانتباه للنص عليه؟

٨ـ جاءت نصوص الأزهري على الحيونات والحشرات والهوام قليلة جدًّا مع كثرتها وتوافرها في البادية.

٩ـ أحيانًا كان الأزهري يذكر بعض روايات لمعجم العين وهي ليست فيه، ولم ينقلها عن العين أحد غيره.

١٠ـ في بعض الأحيان لم يتسم وصف الأزهري لما رآه في البادية بالشمولية والإحاطة، وسبب ذلك في رأيي أحد شيئين، هما:

أ. إذا عرض له في اللفظ ما يخالف وجهة نظره عند أحد العلماء، صبَّ اهتمامه لإقامة الحجة على مخالفه تاركًا ما وراء ذلك، وأحيانًا إذا نقل عن عالم ما يتفق ورؤيته فلا يعيد كلامه مرَّةً أخري ويكتفي بذكر رؤيته له دون زيادة، أما إذا كان رأيه خلافَ ما ذَكَر ردَّ عليه، وإن قصَّر السابق في شيء –من وجهة نظر الأزهري– جبر نقصه وبيَّنه.

ب. إذا كان في اللفظ مسألة غير الدلالة (صوتية أو صرفية أو نحوية) جعل شغله الشاغل بيانها وتوضيحها، ويترك دلالة اللفظ غامضة دون بيان.

١١ـ اشتق العرب أسماء كثيرة من أسماء النباتات، كالشُّكَاعَى والعَرَادَة.

١٢ـ تعددت المنازل والأماكن التي نصَّ على رؤيته لبعض الأشياء فيها، وهذا لما تفرضه طبيعة الحياة البدوية من التنقل والترحال بحثًا عن المراعي.

١٣ـ ردَّ الأزهري على علماء كبار، وبيَّن وجه الصواب والخطأ فيما قالوه، كالليث والبشتي.

١٤ـ اتسم الأزهري فيما نقل بالأمانة العلمية، فما وصل إليه سماعًا لا ينص فيه على الرؤية، بل يدرجه تحت قوله –مثلًا– وقيل، أو غير ذلك.

فهرس المصادر

١- أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري، تح/ محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٢- الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، د/رشيد العبيدي، أطروحة دكتورآه بكلية الآداب جامعة القاهرة، إشراف د/ حسين نصار١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.

٣- إصلاح المنطق لابن السكيت، تح/أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٩م.

٤- أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/محمد حسن جبل، الطبعة الثالثة- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٥- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة(١٥) ٢٠٠٢م.

٦- الأمثال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاَّم، تح/د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، تح/ محمد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبرهيم، المكتبة العصرية - لبنان - صيدا.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي، مجموعة محققين، دار الهداية.

١٠-تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١-تاريخ ابن خلدون، تح/خليل شحادة، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢-تحديد معانٍ لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة د/الموافي البيلي، الطبع الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٣-التعريفات، لعلى بن محمد بن على الجرجاني، تح/ إبرآهيم الإبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

١٤-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح/ سامي بن محمد سلامة، دار

طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٥-التقفية في اللغة لأبى بشر البَندنيجي، تح/د. خليل إبرهيم العطية، الجمهورية العراقية-وزارة الأوقاف -مطبعة العاني – بغداد١٩٧٦م.
١٦-تكملة المعاجم العربية، لرينهارت دوزي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد،٢٠٠٠م.
١٧-التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبى هلال العسكري تح/د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
١٨-التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لابن بري، تح/ مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى١٩٨٠م.
١٩-تهذيب اللغة، لأبى منصور الأزهري، تح/ عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٠-التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، عالم الكتب، القاهرة- الطبعة الأولى١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢١-الجراثيم، المنسوب لأبى محمد عبد الله بن قتيبة، تح/ محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق.
٢٢-جمهرة الأمثال، لأبى هلال العسكري، تح/ محمد أبو الفضل إبرآهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
٢٣-جمهرة اللغة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٢٤-الجيم، لأبي عمرو الشيباني بالولاء، تح/ إبرهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢٥-حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى بن على الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
٢٦-الحيوان، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٧-الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى تح/محمد على النجار- الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٢٨-دراسات في فقه اللغة د/ صبحي صالح، دار العلم، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٩٧م.
٢٩-الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي، تح/د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٠م.
٣٠-ديوان الأدب، لأبى إبرآهيم إسحاق الفارابي، تح/د. أحمد مختار عمر، مراجعة د/إبرهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٣١-ديوان الأعشى، شرح د/محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت.
٣٢-ديوان زهير بن أبى سلمى، شرح/على حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٣-ديوان حميد بن ثور الهلالي، صنعه أ/عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية،١٣٧١هـ-١٩٥١م.
٣٤-ديوان الراعي النميري.تح/ راينهرت فاييرت، بيروت١٤٠١هـ-١٩٨٠م.
٣٥-ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تح أ/ عبد العزيز الميمني، القاهرة –دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ -١٩٥٠م.
٣٦-ديوان شعر عمر بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق د/حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٣٧-ديوان العجاج رواية الأصمعي، تح/د.عزة حسن، دار الشرق العربي- بيروت١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٨-ديوان عنترة، محمد سعيد مولدي، المكتب الإسلامي ١٩٦٤م.
٣٩-ديوان كُثَيِّر عزة، تح/ إحسان عباس، دار الثقافة –بيروت، ١٩٧١م.
٤٠-ديوان كعب بن زهير، صنعه أبو سعيد السكري، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤١-ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي.

٤٢–الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري، تح/ مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع .
٤٣–الزاهر في معانى كلمات الناس لأبى بكر الأنباري، تح/د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م.
٤٤–سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تح/حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى٢٠٠٠م.
٤٥–السنن الكبرى، لأبى بكر البيهقي، تح/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٦–شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، تح/د حسين العمرى وآخرون، دار الفكر –بيروت– الطبعة الأولى–١٩٩٩م.
٤٧–صحيحُ ابن خُزَيمة، لأبي بكر محمد بن خزيمة، تح/د محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣ م.
٤٨–صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٩–طبقات الشافعية الكبرى لتقى الدين السبكي، تح/د. محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد، هجر للطباعة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٥٠–طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، تح/محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.
٥١–عقيدة الإمام الأزهري د/على بن نفيع العيلاني، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
٥٢–العين، للخليل بن أحمد تح/د.مهدي المخزومي، ود.إبرآهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
٥٣–غريب الحديث، لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم، تح/ د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية– الطبعة الأولى١٣٨٤هـ١٩٦٤م.

٥٤-غريب الحديث، لابن الجوزي، تح/د. عبد المعطى أمين القلعجي، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى- ١٩٨٥م.
٥٥-الغريبين في القرآن والحديث لأبى عبيد الهروي، تح/ أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى، الرياض، ط الأولى١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٥٦-الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري، تح/الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.
٥٧-كتاب الألفاظ، لابن السكيت، تح/د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٥٨-كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تح/ عبد الستار أحمد فرج، مكتبة دار العروبة.
٥٩-كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تح/ برنهارد لفين، دار فرانز شتاينر بفيسبادن،١٩٧٤م.
٦٠-كتاب النبات والشجر للأصمعي، جمع د/ اوغست هفنر، بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، الطبعة الثانية١٩٠٨م.
٦١-كتاب الشجر لابن خالويه، مطبعة ماكس شمرسوف في كرخهين (نيدرلوسنتس).
٦٢-كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٤١م.
٦٣-الكليات، لأبى البقاء الكفوي، تح/ عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦٤-لسان العرب لابن منظور، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة-١٤١٤هـ
٦٥-لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، د/ ضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٦٦-ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن الشجري، تح/عطية رزق، دار المناهل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦٧–مجمع الأمثال، للميداني، تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان.
٦٨–المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبى موسى المديني، تح/عبد الكريم العزباوي،جامعة أم القرى، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ–١٩٨٦م
٦٩–المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٧٠–المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، تح/ الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الطبعة الأولى١٤١٤هـ–١٩٩٤م.
٧١–مختار الصحاح لأبى بكر الرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
٧٢–المخصص لأبى الحسن على بن سيده، تح/خليل إبرآهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.
٧٣–مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن شمائل القطيفي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٢هـ.
٧٤–المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
٧٥–المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن على الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
٧٦–المعاجم العربية د/ عبد الله درويش، طبعة مكتبة الشباب.
٧٧–معجمات العربية تاريخ وتعريف د/عبد التواب الأكرت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.
٧٨–معجم الأدباء لياقوت الحموي، تح/إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.
٧٩–المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠هـ.

٨٠-معجم البلدان لياقوت، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٨١-المعجم العربي نشأته وتطوره، د/حسين نصار، دار مصر للطباعة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٨٢-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
٨٣-معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٨٤-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٨٥-المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، دار الكتاب العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٨٦-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح/صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٨٧-مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨٨-المنتخب من غريب كلام العرب، لكراع النمل، تح/ د محمد بن أحمد العمرى، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
٨٩-المنجد في اللغة لكراع النمل، تح/د. أحمد مختار عمر، ود/ ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب -القاهرة- الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
٩٠-من قضايا فقه اللسان د/الموافي الرفاعي البيلي-الطبعة الثانية.
٩١-النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح/طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تح: إحسان عباس-دار صادر- بيروت-الطبعة الأولى ١٩٧١م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقـــــدمـــة	٢٦٩٧
أسباب اختيار الموضوع	٢٦٩٧
مشكلة الدراسة	٢٦٩٨
حدود البحث	٢٦٩٨
أهداف الدراسة وخطة البحث	٢٦٩٨
الفصل الأول: أضواء على مفردات عنوان البحث، وفيه مبحثين:	٢٧٠١
المبحث الأول: التعريف بالرؤية والبادية، وقسمته إلى مطلبين:	٢٠٧١
المطلب الأول: تعريف الرؤية.	٢٧٠١
المطلب الثاني: تعريف البادية.	٢٧٠٣
المبحث الثاني: التعريف بالأزهري وكتابه. وقسمته إلى مطلبين:	٢٧٠٤
المطلب الأول: التعريف بالأزهري.	٢٧٠٤
المطلب الثاني: التعريف بكتابه تهذيب اللغة.	٢٧٠٥
الفصل الثاني: ما رآه الأزهري في البادية، وفيه ستة مباحث.	٢٧٠٧
المبحث الأول: ما رآه الأزهري في البادية من النباتات.	٢٧٠٧
المبحث الثاني: ما رآه الأزهري في البادية من المظاهر الطبيعية.	٢٧٣٥
المبحث الثالث: ما رآه الأزهري في البادية مما صنعه أهلها.	٢٧٤٩
المبحث الرابع: ما رآه الأزهري في البادية من الحشرات والهوام.	٢٧٦٣
المبحث الخامس: من رآهم الأزهري في البادية من الأشخاص.	٢٧٦٦
المبحث السادس: ما رآه الأزهري في البادية من الحيوانات.	٢٧٦٩
الخاتمة	٢٧٧١
فهرس الموضوعات	٢٧٧٣